القصة اللغوية بين الموثوقية والمعيارية

أ. د. أحمد إبراهيم محمد بني عطا[1]، د. غازي بن محمد السهلي[2]

(قدم للنشر في ٣٠/ ٠٥/ ١٤٤٣هـ؛ وقبل للنشر في ٢٠/ ٠٧/ ١٤٤٣هـ)

المستخلص: تتوجه قصدية هذه الورقة البحثية إلىٰ القصص التي تضمنت مواقف لغوية، وبعض القصص التي دارت حولها نشأة النحو العربي؛ إذ تتناول هذه الدراسة موثوقية القصة النحوية والصرفية في بعض أسانيدها ومتونها انطلاقًا من مستويين قصصيين: أحدهما يتعلق بالطرفة اللغوية والفكاهة، والآخر يتصل بالخلاف النحوي والمناظرات والمجالس، محاولةً التوصل إلىٰ مدىٰ ثبوت هذه القصص وذلك بتقييدها بالوقائع والأحداث الاجتماعية والتاريخية والثقافية من جانب، ونسبتها إلىٰ رواتها وقائليها من جانب ثان، للخروج بحكم عليها بالصدق أو الوهم، والتي يمكن أن ندرك من خلالها وجود تغيير في الحكم اللغوي.

الكلمات المفتاحية: القصص اللغوية، المناظرات اللغوية، الطرائف اللغوية، الموثوقية، المعيارية.

***

(١) أستاذ اللغة والنحو وزارة التربية والتعليم، والمحاضر غير المتفرغ بالجامعة الأردنية، المملكة الأردنية الهاشمية.
البريد الإلكتروني: bani_ata2@yahoo.com

(٢) أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.

The Story in Linguistic: Reliable and Standard

Prof. Ahmed I. Bani Atta, and Dr. Ghazi M. Al-Sahli

(Received 03/01/2022; accepted 21/02/2022)

Abstract: This research paper is directed to investigate the stories that included linguistic situations, and some of the stories around which the emergence of Arabic grammar revolved. This study deals with the reliability of the grammatical and morphological story in some of its chains and texts based on two story levels: one of them relates to linguistic wit and humor, and the other relates to grammatical disputes, debates and councils, trying to reach the extent to which these stories are true by restricting them to facts and social, historical and cultural events on the one hand, and attributing them to their narrators, and those who tell them; on the other hand, to come out with an assessment of truth or illusion, through which we can realize the existence of a change in the linguistic evaluation.

key words: Linguistic stories, Linguistic debates, Linguistic wits, reliability, Standardization**.**

❊ ❊ ❊

مقدمة

إنَّ تفوق أي مجتمع من المجتمعات ينبثق من اهتماماته الفكرية والحضارية واللغوية، فاللغة منظومة من الأفكار والثقافات، وحاضنة لمقتضيات العصر بمختلف صنوفه، وفي معاييرها رحابة، ثابتة في أبنيتها رغم تعاقب العصور، قد يظن البعض أنَّ ما يعتريها من خلافات في نسقيتها قد يلحق بها نقصًا أو إزاحة عن معياريتها سواء كان هذا الخلاف مقصودًا أو غير مقصود، متناسين ما تتكئ عليه هذه المعايير من سياقات لغوية وشواهد شعرية ونثرية قيلت في عصور بلغت درجة فائقة من الفصاحة والبلاغة حتىٰ كانت حجة عليها، وتكفلت بحملها عبر تاريخها الطويل، وإذا كان هذا الغرض لا يفي بهذه الحجية في نظر بعضهم، فيكتفىٰ بكتاب الله ﷻ حجة دامغة علىٰ صدق معيارية هذه اللغة الشريفة.

وعليه جاءت هذه الدراسة لتقف علىٰ نماذج من القصص التي تضمنت مسائل نحوية وصرفية، ومواقف بين النحويين، يمكن أن ينبني عليها تغيير في مفاهيم ووضعيات قائمة، استمرت خلال عصور نتيجة الصراع الذي استحكم بين النحويين، والنظر إليها علىٰ كونها مسلمات، ناهيك عن الصورة النمطية التي سارت عليها هذه الخلافات في الماضي.

فهذه المواقف السلبية التي وجدت اليوم في النظرة للخلافات النحوية ترجع إلىٰ أسباب تلك الخلافات في الماضي، وبخاصة العصر الذي تفاقم فيه التمايز بين المدارس النحوية. وهو ما خلف شعورًا بالنقص لدىٰ الآخر، وقاد إلىٰ تقديم تصور ومفاهيم معيارية مغايرة لحقائق لا نستطيع أن ننكرها.

إن بعض السياقات القصصية تعد غرضًا أساسيًا مقصودًا لذاته، منها ما قد يقود إلىٰ مفاهيم خارج حدود المعيارية التي ينشدها الدارس، كالرغبة في ريادة مدرسة نحوية، كما حصل في قصة «انقلاب الشيخ علىٰ أستاذه» بين الكسائي والرؤاسي، وقصة «طلب كتاب في النحو» بين الخليل

والرؤاسي، أو اللجوء إلىٰ المخادعة للإيقاع بالمناظر كما حصل في المسألة «الزنبورية»، فبعض دلالات هذه القصص يومئ بمقاصد متوارية، لا يمكن تجليتها وسبر غورها إلا بتتبعها عند أبناء عصرها من النحويين والرواة، ومعرفة حدودها الزمانية والمكانية، فهي تستدعي صراعًا خبيئًا في زوايا القصص، وتثير أحكامًا لا تتساوىٰ فيها المدرستان في العصر نفسه.

والمعيارية التي تناولتها الدراسة لا تعنىٰ بالوصول إلىٰ القاعدة اللغوية، لأنَّ هذا الباب قد فرغ من وضعه بالوصف والاستقراء لكلام العرب، وإنَّما هدفها بيان ما أحدثته القصة في إخراج المسألة اللغوية عن القاعدة التي قال بها اللغويون وبما يقدح في معياريتها.

وعمدت إلىٰ سرد متون بعض القصص وأسانيدها التي حدث تغيير في عباراتها؛ لمقابلتها بغيرها، واكتفيت بتوثيق القصص المتشابه من دون إعادة لمتونها؛ تجنبًا للإطالة.

*** مشكلة الدراسة:**

تتحدد مشكلة الدراسة بالسؤال البحثي الآتي:

هل هناك تفاوت في الروايات النحوية احتملها السياق القصصي قد يشكك في موثوقيتها، ويمكن أن ندرك من خلالها تغيراً في القاعدة اللغوية؟ وينبثق من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

- هل القصة النحوية تحمل أهدافًا خارجة عن الأغراض النحوية؟
- أليس الابتداع في الطرفة اللغوية سمة خاصة لعصر من العصور؟
- هل كان الانزياح عن الأسانيد في القصص اللغوية مقصودًا لذاته؟

*** أهداف الدراسة:**

- الكشف عن موثوقية عينة من القصص اللغوية، والتعرف إلىٰ المسارات التي تدور في فلكها هذه القصص من خلال ربطها بالوقائع والأحداث التاريخية، وبيان المقاصد والأغراض من وراء قصص الطرائف والنوادر اللغوية.

- الكشف عن موثوقية السيّاق القصصي، الذي يمكن أن ندرك من خلاله تحولا في المعيارية اللغوية.
- إيجاد العلاقة بين الجوانب اللغوية والروايات القصصية، وذلك بمناقشة مواضع هذه القصص من حيث القبول أو الرد؛ إذ تفرض طبيعة الموضوع الخروج عن تلك المسلمات في بعض الأحيان، لكي نفرق من خلال وسائل الاستدلال بين ما هو جلي ثابت الوقوع وبين ما هو خفي، وهذا لم يلتفت إليه الدارسون، بل لم يشيروا إليه.
- سعت الدراسة كذلك إلىٰ سد تلك الفجوات القائمة بين المواقف والإشارات اللغوية، والسياقات القصصية.

*** أهمية الدراسة:**

تتجلىٰ أهمية هذه الدراسة في رصد المدارات القصصية التي تدور في فلكها المقولات النحوية، ومحاولة ضبطها من خلال أداة قياس من البيئة نفسها التي نسبت إليها هذه القصص، والكشف عن حقيقتها ومدىٰ مصداقيتها، والمقاصد الخبيئة، التي تحتجب تحت ظلالها، وربما تكون في حقيقة الأمر ما هي إلا أوجه من التشويه، نتيجة الخلاف القائم بين المدارس النحوية أو الرغبة في سيادة مدرسة نحوية.

*** منهج الدراسة:**

اعتمدت الدراسة علىٰ المنهج الوصفي التحليلي؛ والاستفادة من المنهج التاريخي؛ لأنهما ملائمين لطبيعة مشكلة الدراسة التي تتعلق باستحضار الروايات القصصية، التي يمكن أن ندرك من خلالها مدىٰ مصداقية هذه القصص؛ ولأن المنهج التحليلي مرتبط بدراسة القضايا المرتبطة بالعلوم الإنسانية، إذ ستجمع عينة الدراسة من الأمالي والمجالس اللغوية والطرائف النحوية، وعرضها علىٰ المرجعية والمصادر والمراجع باستعمال بعض أدوات علم الرواية اللغوية.

❋ خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع، على النحو التالي:

- المقدمة: بَيَّنتُ فيها أهميَّة الموضوع، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطَّته.
- التمهيد: تضمن عددًا من المفاهيم والمصطلحات التي تدور في مسار البحث.
- المبحث الأول: قصص النَّوادر والطرائف اللّغوية وموثوقيتها.
- المبحث الثاني: قصص المناظرات والخلافات اللغوية وموثوقيتها.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج.
- ثبت المصادر والمراجع.

❋ ❋ ❋

تمهيد

تضمنت الدراسة عددًا من المصطلحات والمفاهيم التي تدور في مسار القصة اللغوية، ولهذا سعىٰ الباحث إلىٰ الوقوف علىٰ بعض العبارات الاصطلاحية الأساسية توضيحًا وتفسيرًا، كمصطلح المعيارية، والطرائف اللغوية، والخلافات النحوية، والمناظرات النحوية، والمجالس العلمية.

أولًا: المعيارية:

المعيارية هي صياغة التراكيب اللفظية والجُمْلية بالاعتماد علىٰ القياس ومراعاة المستوىٰ الصَّوابي في الاستعمال، وفرض هذه المعايير فرضًا منطقيًا علىٰ الكلام، مدار القياس فيه علىٰ السليقة[1]، ويكون التواصل به باستمرار المعاني والدلالات ويحتكم فيها علىٰ الحس اللغوي المشترك، وبهذا تكون المعيارية قائمة علىٰ فرض القاعدة؛ انطلاقًا من الكليات وانتهاء بالجزئيات، والاعتماد علىٰ القاعدة وترك الوصف، والتأوُّل لما خرج عنها، الحكم بالشذوذ والقلة لندرة التأويل[2].

عني النحاة بالمعايير بعد أن كانت خاضعة للنَّص وأصبحت عباراتهم تبدو فيها المعيارية الصارخة[3]، فطغت سمة الصعوبة والغموض علىٰ النحو، وكان من نتائج ذلك اهتمام النحو بالصورة علىٰ حساب «المادي»، ودرس اللغة ينبغي أن يركز علىٰ «المادة» لا علىٰ الصورة، ولهذا تأثير المنطق علىٰ النحو يبعده عن الواقع اللغوي[4]؛ لأن الحسي هو المعتبر في الدرس

(١) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، (ص٢١).

(٢) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، (ص٢٣).

(٣) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، (ص٢٨).

(٤) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، (ص٦١).

النحوي، وهو الأساس القويم لتعليم اللغة الصحيحة نطقًا وفهمًا.

ثانيًا: الطرائف اللغوية:

الطرفة في اللغة: من طرف فهو طريف، وهو الشيء الطيب الغريب، واستطرف الشيء: استفاده[1]، والطرائف اللغوية: هي مواقف تؤدي معاني لا تخلو من المؤانسة والإمتاع، والعرب من أكثر الشعوب استعمالًا للنوادر والطرائف، في مجالسهم وأسفارهم[2].

وعني المؤلفون المسلمون بجمع الطرائف اللغوية وصارت مجالاً للمتعة، وسعىٰ بعضهم إلىٰ جمعها في كتب متخصصة، وموضوعات، وذلك بتتبع سقطات العلماء، ومواقف المتعالين الذين ينكشف أمرهم في موقف ما، أو الطفيليين الذين يحتالون بحثا عن لقمة عيش رخيصة، ومواقف الأعراب الذين نزلوا الحواضر، أو تلقط ما يحدث في مجالس الحكام[3]، وكثيرًا ما ألبس المؤلفون الطرفة اللغوية شخصية حقيقة أو خيالية[4].

وهناك عوامل عديدة أدت إلىٰ نشوء الطرائف اللغوية منها: التلاعب بالألفاظ، واستعمال اللفظ في غير موضعه، والوقوع في الخطأ اللغوي، والخلط في الأسماء والأنساب والحوادث، وسوق الألفاظ الصعبة، والتصحيف والتحريف في الألفاظ، وسوء الفهم من المتكلم أو المتلقي[5].

ثالثًا: الخلافات النحوية:

الخلافات اللغوية لا تنقص من أهمية المعيارية، بل لها أثر كبير في الإعمال الذهني لدىٰ

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٩/ ٢١٤).

(٢) ينظر: فن الأحاجي والألغاز في التراث العربي، محمد رجب النَّجار، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٢٠، المجلد الخامس، جامعة الكويت، (ص١٣).

(٣) ينظر: الطرائف اللغوية، دارة الملك عبد العزيز، صالح الوهيبي، مج ٢٠، ع ٣، ١٩٩٤م، (ص١٢٩).

(٤) ينظر: أدبنا الضاحك، عبد الغني العطري، (ص٣٢-٥٣).

(٥) ينظر: الطرائف اللغوية، (ص١٢٩).

الباحثين وتوسيع تطلعاتهم، وآفاقهم المعرفية، أما الدعوة إلىٰ نبذ الخلاف النحوي، وعدم الاشتغال به لوقوعه في الفروع دون الأصول، دعوة تتجاوز أثر هذه الخلافات التي شكلت علامة من علامات المناظرات النحوية، وباعثًا من بواعث الفكر الإنساني في تعقب مكامن النقصان.

وكان لهذه المناظرات أثرها الفعال في حفز العلماء، وشحذ قرائحهم للاجتهاد والبحث والتقصي وتقليب الأمور، علىٰ أوجهها المحتملة، والدأب علىٰ استكمال ما بقي من مواد النحو فما لبث أن اندلع لهيب هذه المناظرات(١).

وظهرت الإشارات الأولىٰ للخلاف النحوي قبل سيبويه علىٰ شكل عرض لوجهات النظر بين النحويين، والرد عليها... ومن ذلك مناقشة عيسىٰ بن عمر (١٤٩هـ) لأبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) في إجازته الرفع في قوله: «ليس الطيب إلا المسك»(٢).

أما في عصر سيبويه، فقد كان يذكر سيبويه في كتابه بعض الآراء للخليل بن أحمد (١٧٥هـ)، وليونس بن حبيب (١٨٢هـ) وهما من شيوخه، ويخالف بعض آرائهما، ويرد عليهما، وخلافه مع شيوخه اتسم في هذه المدّة بالهدوء والنزاهة وسعىٰ إلىٰ إيضاح الحقيقة. ويتأكد من ذلك أنّ الخلاف النَّحوي قد بدأ مبكرًا قبل ظهور مدرستي البصرة والكوفة.

ويظهر الخلاف الجاد في عصر سيبويه في خلافه مع الكسائي (١٨٩هـ) في المسألة الزنبورية، ومنها بدأت مسائل الخلاف تمثل وجهتي نظر البصريين والكوفيين(٣). واستمر الخلاف بعد سيبويه بين البصريين والكوفيين، وتميز في هذه المدّة بالشدة والحدة، وكان لآراء الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) أثر في هذا الخلاف، فخالف أستاذه في كثير من المسائل وحمل ذلك الكوفيين

(١) ينظر: نشأة النحو العربي، محمد الطنطاوي، (ص٤٤-٤٥).

(٢) ينظر: مجالس العلماء للزجاجي، (ص٥).

(٣) ينظر: الخلاف بين النحويين، السيد رزق الطويل، (ص٢٦).

ومضوا يتسعون فيه[1].

وتحولت هذه المناظرات إلىٰ عصبية مذهبية بين أنصار المذهبين البصري والكوفي، والتهب سعير الخلافات بينهما بدافع الرغبة في الظفر والتفاخر، وسعيًا وراء الهبات والأعطيات لدىٰ بعضهم «وكان الخلاف الذي نشأ بين البصريين والكوفيين في بادئ أمره سياسيًا، ثم ما لبث أن تحول إلىٰ تعصب فكري واختلاف في الرأي، فاحتدام الصراع علىٰ السبق والمنافسة بينهما حيث اتقدت مجالس العلم وحلقات المناظرات بين نحاة البلدين»[2]؛ لغاية إقرار الرأي ليصير منهجًا، أو تماشيًا مع الرأي الآخر؛ لعدم ثبوت المنهج بعد.

ومن أسباب هذا الخلاف ودواعيه، اختلاف النّحاة في وجهات النظر، فبالتّعمق النّحوي والقدرة علىٰ الحفظ والاستنباط، وبيان الحقيقة والدفاع عنها، تحقق الخلاف مع نحوي آخر، ومن أوضح الأسباب في الخلاف المنهج في الأخذ عن العرب، الذي تباين بين التشدد في السماع، والتَّوسع في الرواية، لاسيما المرونة اللغوية في التوجيه والتأويل والتخريج، وقوة الشواهد، وتحمل بعضها للتأويل، ولم يخلو الأمر من المفاخرة ورغبة الانتصار علىٰ المخالف.

وأجج هذه الخلافات تدخل الحكام في المناظرات، وتقريب بعض النحويين ومنحهم الهبات والعطايا، ولعب القرب من البداية والبعد عنها، دورًا في تسهيل الاتصال بالأعراب ومشافهتهم، وكان للعصبية أثر كبير في إذكاء هذا الخلاف[3].

رابعًا: قصص المناظرات:

المناظرة لغة تعني الشبه والمثل، يقال فلان نظيرك أي مثلك، وناظره: صار نظيرًا له في

(١) ينظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف، (ص٩٥).

(٢) ينظر: دراسات في النحو العربي، محمد أبو كنة، (ص١١١).

(٣) ينظر: الخلاف النحوي، عبد الله المهوس، مج ١٠، ع ٣٨/ ٣٧، ٢٠٠٧م. (ص٤٣٦- ٤٤١).

المخاطبة، وناظر فلان فلانًا جعله نظيره في الكلام[1]، ويقال: ناظرت فلانًا بفلان، أي جعلته نظيرًا له في المخاطبة[2].

والمناظرة فن ارتجالي يعتمد النجاح فيها على الاختيار الدقيق للدليل في موضعه المناسب، يتطلب حدة الذهن، وسرعة البديهة[3]، وأشار المرتضي إلى أنَّ «أجوبة المحاورة والمناظرة تستحسن إذا جمعت من الصواب سرعة الحضور»[4].

وبناء على ما تقدم فإن المناظرة فن يعتمد على المساجلة والمطارحة بين متحاورين أو أكثر حول مسألة معينة بقصد إقرار وتحقيق رأي أحدهما على الآخر، ولا يتأتى هذا إلا بالمكنة العقلية الثاقبة في معالجة الموضوع، ودعمه بالدليل المناسب، وخفة البديهة التي تضيع على المنافس حجته.

وفي هذا يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي المناظرة «أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معًا كيف تأتيه»[5]، ويقول الزبيدي: «والمناظرة المباحثة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته»[6].

خامسًا: المجالس العلمية:

نشأت المجالس العلمية مع باكورة القرن الهجري الأول، مع بداية نشوء الحركة اللغوية، سعت إلى المحافظة على اللغة، ولدفع تفشي العجمة بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية. وظهرت في بادئ أمرها على يد الإمام علي ﷺ فيما يرويه أبو الأسود الدؤلي: «دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فوجدت في يده رقعة، فقلت ما هذا يا أمير المؤمنين، فقال: إني

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (نظر)، (٣/ ٦٦٦).

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، مادة (نظر)، (٣/ ٥٧٤).

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، (١/ ٢٦٣).

(٤) غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضي، (١/ ٣٧٣).

(٥) ينظر: معجم العين، الفراهيدي، مادة (نظر).

(٦) ينظر: تاج العروس، مادة (نظر).

تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد لمخالطته هذه الحمراء - يعني الأعاجم - فأردت أن أضع لهم شيئًا يرجعون غليه، ويتعمدون عليه، ثم ألقىٰ إلي الرقعة وفيها مكتوب: الكلام كله اسم وفعل وحرف... وقال لي هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك»[1]. وعليه يمكن القول: إن مجلس أبي الأسود الدؤلي، هو أول المجالس اللغوية التي أقيمت لغاية وضع معيارية اللغة، وذلك للمحافظة علىٰ العربية من العجمة واللحن.

ويروي أبو زيد الأنصاري ممتدحًا مجلسه قائلًا: «كان سيبويه غلامًا يأتي مجلسي، وله ذؤابتان، فإذا سمعته يقول: حدثني من أثق بعربيته فإنما يعنيني»[2]. وهذا أحمد أمين يمتدح هذه المجالس ويبين قيمتها العلمية بقوله: «كانت هذه المجالس والمناظرات سببًا كبيرًا من أسباب الرقي العلمي للبحث والنظر، وحملتهم علىٰ الجد في تصفية المسائل العلمية حتىٰ يظهروا بمظهر الخبير الثقة، وحتىٰ لا يفشلوا فيكون في هذا الفشل القضاء عليهم»[3].

حيث كانت هذه المجالس مقامًا للمطارحة العلمية، وصاحبة سلطة في إقرار الأحكام، وبهذا تكون قد أعلت من مكانة المناظرات اللغوية، ولها شأنها كذلك عند الخلفاء والأمراء. فقد كانت سياسة تتطلبها طبيعة العصر، ويبين المسعودي سياسة الخليفة المنصور في هذا الجانب قائلًا: «وقرب إليه كثيرًا من الجدليين والمبرزين، والمناظرين، كأبي الهذيل وأبي إسحاق بن سيار والجاحظ، وغيرهم، ممن ألزمهم مجلسه، وأهل المعرفة من الأدباء، وأجرىٰ عليهم الأرزاق فرغَّب الناس في صنعة النظر، وتعلموا البحث في الجدل»[4].

***

(١) نزهة الألباء، (ص١٨).

(٢) المرجع نفسه، (ص٦٣).

(٣) ضحىٰ الإسلام، أحمد أمين، (٢/ ٥٩).

(٤) مروج الذهب، أبو الحسن المسعودي، (٤/ ٨٤).

المبحث الأول
قصص النَّوادر والطرائف اللّغوية وموثوقيتها

لعل من المهم أن نذكر أن هذه الطرائف النحوية كان أغلبها متزامنًا مع نشأة النحو، بل إنَّ بعض المواقف كانت سببًا من أسباب التأليف في علم النحو، ومن أبرز هذه المواقف ما جرىٰ بين أبي الأسود الدؤلي وابنته[1]، لكن قبل أن نبدأ بذكر القصص والطرائف النحوية فإنَّ التساؤل الذي يتبادر إلىٰ الأذهان: ما منشأ هذه القصص؟ وما الدوافع لذكرها؟

قد يكون منشأ هذه القصص النحويون أنفسهم؛ وذلك لتبسيط النحو لطلابهم، وجعله محببًا إليهم، وأحيانًا يأتون بقصص فيها لحن في الإعراب؛ لتدريب طلابهم علىٰ فهم النحو وتصحيح الخطأ، فعندما قرأ سيبويه حديث: (لَيْسَ مِن أَصْحَابِي إِلَّا مَنْ لَو شِئتُ لَأَخذْتُ عَليهِ لَيْسَ أَبَا الدَّرْدَاء)[2]، فقال: ليس أبو الدرداء، فعندما أخبره شيخه بأنه لحن في كلامه، كان ذلك سببًا لطلبه علم النحو، وملازمة الخليل بن أحمد.

وقد يكون الرواة هم الذين نشروا هذه الطرائف؛ تقربًا للولاة بذكر هذه المواقف التي تخفف من جفوة النحو، فمجالس الولاة والخلفاء غالبًا ما تكون مقصدًا للشعراء والأدباء، الذين يجد الناس في حديثهم المتعة والأُنس، أما النحو فلا يتدارسه النَّاس إلا في مجالس النحاة، من هذا المنطلق وجد الرواة في الطرائف والنوادر النحوية مادة خصبة تصلح أن تروىٰ في مجالس علية القوم.

---

(١) ينظر: الأضداد، أبو بكر الأنباري، (١/ ٢٤٥)، ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، (ص٢٦).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث، وإنما ذكر في بعض كتب اللغة، ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، (١/ ٣٥١).

وعليه جاء هذا المبحث ليعرض مجموعة من القصص النحوية بالطرفة والفكاهة؛ للوقوف على مدى موثوقيتها، حيث تناولت الدراسة ستة نماذج من هذه القصص، واخترت لكل منها اسمًا مشتقًا من متنها، وهي: «قصة تصغير واصل»، و«أمير المؤمنين شبيب»، و«نحوي في ميدان الرمي»، و«لا أدري بأيهما أفرح»، و«ترك أبيه وأخيه»، و«قصة زد ألفا».

*** القصة الأولى: «تصغير واصل» بين أبي زيد والخليل:**

جاءت هذه القصة في بعض المصادر اللغوية، وأول من أوردها ابن قتيبة في عيون الأخبار[1]، ووردت في العقد الفريد لابن عبد ربه[2]، وكتاب الفنون لابن عقيل[3]، وقد نسبت في جميع هذه الكتب للخليل بن أحمد بألفاظ متشابهة، مما يدل على موثوقية نسبتها له.

وأصل هذه الرواية في كتاب عيون الأخبار، وذلك أنَّ أبا زيدٍ سأل الخليل: لِمَ قالوا في تصغير واصل: أُوَيْصِل، ولم يقولوا: وُوَيْصِل؟ فقال: «كرهوا أن يشبه كلامهم بنبح الكلاب»[4]، وفي رواية: (بنبيح)[5]، وذلك أن نُطق كلمة (وُوَيْصِل) يتطلب إصدار صوت يشبه العواء، لذا عَدَلوا عن هذا اللفظ بأن أبدلوا الواو همزةً، وهذا من التأدب في القول عند النحاة.

أما الوجه الصرفي في هذه الرواية فلا يقدح في معياريته؛ لأن اجتماع واوين في أول الكلمة وتحرك الثانية منهما يوجب إبدال الأولى همزة للتخفيف، فإن كانت الواو الثانية ساكنة جاز إبدالها وإبقاؤها على حالها[6]، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا ﴾ (الأعراف:٢٠).

---

(١) عيون الأخبار، الدينوري، (٢/ ١٧٦).

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه، (٢/ ٣١٢-٣١٣).

(٣) كتاب الفنون، علي بن عقيل أبو الوفاء، (١/ ٣٨).

(٤) عيون الأخبار، (٢/ ١٧٦).

(٥) المرجع السابق، (٢/ ٣١٣).

(٦) الأصول في النحو، ابن السراج، (٣/ ٢٤٥)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني، (٢/ ٤١٨).

*** القصة الثانية: «أمير المؤمنين شبيب» بين عبد الملك ورجل من الخوارج:**

هذه القصة مذكورة في كثير من كتب اللغة والتاريخ، وأول من أشار إليها الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد[1]، وذكرت أيضًا في كتاب عيون الأخبار، ووفيات الأعيان، والبداية والنهاية، وخزانة الأدب، وغيرها، على النحو الآتي:

١ - جاء في عيون الأخبار[2]، قال الأصمعي: سمعت مولىً لآل عمر بن الخطاب يقول: أخذ عبد الملك رجلًا يرى رأي الخوارج - رأي شبيب[3] - فقال: ألست القائل[4]:

ومنّا سويدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ ❊ ومنّا أميرُ المؤمِنينَ شَبِيبُ

فقال: إنما قلت: «أميرَ المؤمنين شبيب» بالنصب، أي: يا أمير المؤمنين، فأمر أنْ يخلّىٰ سبيله.

٢ - وفي رواية أنَّ القائل عِتبان الحروري، والذي ظفر به هو الخليفة هشام بن عبد الملك[5]، وورد في كتاب غرر الخصائص الواضحة[6] أنّ القائل هو مصلفة بن هبيرة الشيباني.

---

(١) ينظر: المحاسن والأضداد، الجاحظ، (١/ ٨٥).

(٢) ينظر: عيون الأخبار، (٢/ ١٧١).

(٣) هو: شبيب بن يزيد الشيباني، من الخوارج الذين ثاروا على بني أمية في عهد عبد الملك بن مروان، قاتله الحجاج بن يوسف، مات غرقًا سنة ٧٧هـ، ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٤، ٤٥٥)، والأعلام، الزركلي، (٣/ ١٥٦، ١٥٧).

(٤) البيت من الطويل، وهو لعتبان الحروري في: معجم الشعراء (١/ ٢٦٦)، وشعر الخوارج، (ص٢٠٠)، وخزانة الأدب (١/ ٢٤٩)، ولمصلفة الشيباني في غرر الخصائص الواضحة (١/ ١٥١)، ولأبي المنهال الخارجي في تاريخ دمشق (٦٧/ ٢٥٦).

(٥) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، (١/ ٢٤٩).

(٦) (١/ ١٥١).

٣- وفي رواية[١]: أحضر عبد الملك بن مروان عِتبان الحروري، وهو ممن يرىٰ رأي الخوارج، فقال: يا عدو الله ألست القائل، وذكر البيت، فقال: إنما قلت أميرَ المؤمنين، فناديتك واستغثت بك، فخلّىٰ الخليفة سبيله، وإنْ كان عبد الملك يعلم بحقيقة الرجل، وأنَّه من الخوارج إلا أنه أعجب بسرعة بديهته وحسن جوابه فعفا عنه.

وقد اختلف في هذا الرجل، فقد ورد في رواية أنه رجل من أتباع شبيب[٢]، وقيل: إنه الراعي النميري، لكن لم يذكر في سيرته أنه مع الخوارج، أو أنه هجا بني أمية، بل كان يمدحهم من أجل قومه؛ لأن نميرًا اشتركت في معارك ضد الأمويين، فأخذ في تمهيد الطريق ليقرّب قومه من الأمويين، واستطاع بشعره أن يكون من جلساء هشام بن عبد الملك، وأن يرفع مكانة قومه عند بني أمية[٣].

والذي يترجح أنه عِتبان بن وصيلة الشيباني؛ كما ورد في معجم الشعراء[٤]، وهو من شراة الجزيرة، ومعدود في شعراء الخوارج، فقد مدح شبيبًا وزوجته غزالة في قتالهم بني أمية وجيوش الحجاج بن يوسف[٥] ومن ذلك البيت الذي قاله بعد البيت السابق[٦]:

غَزالــةُ ذَاتُ النَّــذرِ منَّــا حَميــدَةٌ ❊ لهــا في سِــهَامِ المــسْلمينَ نَــصيبُ

وهذا يدل علىٰ صحة نسبة الأبيات له، أمّا الخليفة فهو عبد الملك بن مروان لأن شبيبًا

(١) ينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، الرازي، (٢/ ١٨٠)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (٢/ ٤٥٦).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (٩/ ٢٧).

(٣) ينظر: ديوان الراعي النميري، الراعي النميري، (ص٢٥).

(٤) (١/ ٢٦٦).

(٥) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، (٣/ ٢٦٦)، شعر الخوارج، د. إحسان عباس، (ص١٨٢).

(٦) البيت من الطويل وقد سبق تخريجه.

الخارجي قتل في عهد خلافته[1] عام ٧٧هـ.

أما الوجه النحوي في هذه القصة فلا يقدح في المعيارية، ذلك أن المنادىٰ المضاف في قوله: (أميرَ المؤمنين) يكون منصوبًا[2]، وبخصوص رواية الرفع فتوجيهها أن يجعل (شبيبُ) بدلًا من (أميرُ) الواقعة في محل رفع مبتدأ، وهذا معناه أنه هو أمير المؤمنين، وفيه وجه آخر وهو جواز حذف أداة النداء من العَلَم مع بقاء عملها[3]، والتقدير: يا أميرَ المؤمنين.

وهذا من حسن التخلص؛ لأن الإعراب هو الموجّه للمعنىٰ، وذلك عندما يختار المتكلم حالة إعرابية محددة، وفي هذا الموقف اختار الشاعر حالة النصب بدلًا عن الرفع، فانتقل من سبيل الهلاك إلىٰ سبيل النجاة[4].

*** القصة الثالثة: «نحوي في ميدان الرمي» بين عضد الدولة وأبي علي الفارسي:**

هذه من الطرائف التي جاءت في بعض الكتب، وأول من ذكرها أبو البركات الأنباري في كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء[5]، وذكرت في كتاب حاشية الطيبي علىٰ الكشاف[6]، وأسرار العربية[7]، وبغية الوعاة[8]، وغيرها، وقد وردت بعبارات متشابهة في هذه الكتب، مما يدل علىٰ

(١) ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٥٤).

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، ابن هشام، (٤/ ٢٠)، وحاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني، الصبان، (٣/ ٢٠٧).

(٣) ينظر: أوضح المسالك (٤/ ١٠)، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، (٣/ ١٠٥٨).

(٤) ينظر: البصائر والذخائر، التوحيدي، (٣/ ٩٧).

(٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، (١/ ٢٣٣).

(٦) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف)، الطيبي، (٣/ ٤٣٠).

(٧) أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، (ص٢٠٣-٢٠٤).

(٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، (١/ ٤٩٦).

صحة نسبتها.

رُوي أن عضد الدولة كان في ميدان الرمي، فقال لأبي علىٰ الفارسي: بم ينتصب المستثنىٰ في: قام القوم إلا زيدًا؟، قال أبو علي: بتقدير: «أستثني»، فقال: هلّا قدرت: «امتنع زيدٌ» فرفعت، قال أبو علي: هذا جواب ميداني، إن رجعت قلت لك الجواب الصحيح.

ومعنىٰ قوله: جواب ميداني أي: أنه ذكره في عجالة، ثم إنَّ أبا علي في كتابه الإيضاح[1] اختار أن الناصب هو الفعل المتقدم بتقوية (إلَّا).

وهذا الموقف ذُكر في جميع المصادر السابقة أنَّه دار بين عضد الدولة بن بوية، وأبي علي الفارسي، مما يؤكد موثوقية نسبته، إذ إنَّ عضد الدولة من المهتمين باللغة والأدب، وقد صحبه الفارسي، وصنّف له كتابي «الإيضاح»، و«التكملة»[2]، وقد دل هذا الموقف علىٰ حسن التخلص وسرعة البديهة من أبي علي.

والوجه النحوي في هذه الرواية العامل في نصب المستثنىٰ، حيث ذكر في الرواية أنه (أستثني)، وهو قول الزجاج من البصريين[3]، والذي يظهر أنَّ العامل في المستثنىٰ هو العامل الذي قبل (إلا) بواسطة (إلا)[4]، وهناك أقوال أخرىٰ منها: أنه انتصب بـ(إلّا) وحدها، وقيل: بالفعل المتقدم وحده، وقيل: انتصب لشبهه بالمفعول به، وقيل غير ذلك[5].

(١) ينظر: الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي، (ص٢٠٥).

(٢) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (١/ ٢٣٣)، ووفيات الأعيان (٢/ ٨٠).

(٣) ينظر: أسرار العربية (ص٢٠١)، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، الشاطبي، (٣/ ٣٤٩).

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك، ابن عقيل، (٢/ ٢١١)، وشرح التسهيل المسمىٰ «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، ناظر الجيش، (٥/ ٢١٣٥).

(٥) ينظر: تمهيد القواعد (٥/ ٢١٣٢)، والمقاصد الشافية (٣/ ٣٤٩).

*** القصة الرابعة: «لا أدري بأيهما أفرح؟» بين الحجاج وأبي عمر بن العلاء:**

ذُكرت هذه القصة في كثير من كتب التفسير والقراءات واللغة والأدب، وأول من ذكرها ابن أبي الدنيا في كتابه الفرج بعد الشدة[1]، وقد وردت بعدة روايات متقاربة، وكلها تدل علىٰ موثوقية هذه القصة:

١- أخرج ابن عساكر عن الأصمعي أنَّ أبا عمرو بن العلاء لما قرأ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ (البقرة: ٢٤٩) بالفتح، قال له الحجاج: هات نظير ذلك من كلام العرب وإلا سأضرب عنقك، فهرب إلىٰ اليمن، ومكث مدة وهو في هم، فسمع ذات يوم أعرابيًا ينشد:

رُبما تَجزعُ النُّفوسُ مِن الأمْرِ ❊ لَه فَرجةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[2]

فقال أبو عمرو: ما وجه الفتح في قولك: فَرجة؟ فقال: كل ما هو علىٰ وزن (فَعْلَة) لنا فيه ثلاث لغات، ثم قال للأعرابي: ولم تنشد هذه الأبيات؟ فقال: مات الحجاج، قال أبو عمرو: لا أدري بأيهما أفرح؟ بوجود الحجة علىٰ مذهبي، أم بموت الحجاج[3].

٢- وفي رواية[4]: قال أبو عمرو: هربنا من الحجاج، فأقمنا في البادية دهرًا، فبينا أنا خارج ذات غداة ضيق الصدر، سمعت شيخًا يقول هذا البيت، وإذ بفارس من بعيد ينادي: قد مات الحجاج،

(١) ينظر: الفرج بعد الشدة، لابن أبي الدنيا، (١/ ٧٤).

(٢) البيت من الخفيف، وهو لأميَّة بن أبي الصلت، شرح ديوان أمية بن أبي الصلت، (٦٣)، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان، (٣/ ١١٩)، وبلا نسبة في الكتاب، سيبويه، (٢/ ١٠٩، ٣١٥)، والمقتضب، المبرد، (١/ ٤٢)، والأصول في النحو، ابن السراج، (٢/ ١٦٩)، الفَرجة: الخلاص من الحزن، الشاهد فيه: وقوع (ما) موصوفة وهي بمعنىٰ شيء، وذلك في قول الشاعر: ربما تكره النفوس.

(٣) ينظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي، الشهاب الخفاجي، (٥/ ٢٨١)، وشرح مقامات الحريري (٣/ ٢٠١)، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، (٦/ ١١٧).

(٤) ينظر: تفسير التستري، سهل بن عبدالله (١/ ١٩٩).

ثم سألت الشيخ عن الفرجة، فقال: بضم الفاء في العود والحائط ونحوهما، وبالفتح في الأمر من الشدة، قال أبو عمرو: فما أدري بأيهما كنت أكثر سرورًا، بموت الحجاج أم بما ذكر الشيخ.

فورود هذه القصة في عدد كبير من الكتب يدل علىٰ موثوقية نسبتها لأبي عمرو بن العلاء، وأنّ هذا الموقف دار بينه وبين الحجاج.

والوجه النحوي فيها لا يقدح في المعيارية؛ ذلك أنّ المدنيَّين(١) وأبا عمرو بن العلاء، وابن كثير ووافقهم ابن محيصن، واليزيدي(٢) قرؤوا بالفتح (غَرفة) فتكون عندهم مصدرًا، أي: مرة واحدة بيده، وقرأ الباقون بالضم (غُرفة)، فالمقصود به ما تحمله اليد(٣)، والذي يظهر أنه لا يمكن الترجيح بين هاتين القراءتين؛ فكلاهما ثابتة عن النبي ﷺ، ولها وجه في العربية.

*** القصة الخامسة: ترك «أبيه وأخيه» بين الحسن البصري ورجل:**

كان أول ورود لهذه القصة عند أبي حاتم الدارمي في كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء(٤)، ووردت في كتب أخرىٰ، منها: شعب الإيمان(٥)، ومعجم الأدباء(٦)، والبصائر والذخائر(٧)، وجمع الجواهر في الملح والنوادر(٨).

---

(١) المدنيان: نافع وأبو جعفر.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٢/ ٢٣٠)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد البنا، (١/ ٤٤٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣/ ٣٧٤)، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (٢/ ٥٨٨).

(٤) ينظر: روضة العقلاء وروضة الفضلاء، للدارمي، (١/ ٢٢٢).

(٥) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، (٣/ ٢١٤).

(٦) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، (١/ ٥٤).

(٧) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، (٦/ ١١٦).

(٨) جمع الجواهر في الملح والنوادر، أبو إسحاق الحصري، (١/ ٤).

رُوي أن رجلًا قال للحسن البصري: ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟، قال الحسن: «ترك أباه وأخاه»، قال الرجل: «فما لأباه وأخاه»، قال الحسن: «فما لأبيه وأخيه»، فقال الرجل: أراك كلما طاوعتك خالفتني.

وذكر صاحب العقد الفريد[1] أنّ رجلًا قال لشريح القاضي: ما تقول من رجل مات وترك أبًا وأخيه؟ فقال شريح: أبًا وأخاه، فقال: فكم لأباه وأخاه؟ فقال: لأبيه وأخيه، فقال الرجل: أنت علمتني، فماذا أصنع؟

والذي يظهر أن الرواية للحسن البصري؛ لأنها نسبت له في أغلب الكتب، وسندها سند جيد، من طريق عبد الله بن صالح العجلي، قال: أخبرني أبو زيد النحوي، وكلاهما ثقة[2]، ولم ينسبها لشريح إلا ابن عبد ربه.

وما ورد في هذه القصة إنما هو من اللحن الذي قد يكون السائل غفل عنه؛ بسبب حرصه علىٰ المسألة التي أراد سؤال الحسن عنها، وغاب عن هذا الرجل أن القول يختلف باختلاف الاعتبارات؛ فموضع النصب يختلف عن موضع الجر.

*** القصة السادسة: «زد ألفًا» بين عمر بن عبد العزيز والوليد بن عبد الملك:**

أول من نقل هذه القصة ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد[3]، ثم ذكرت في كتب أخرىٰ كالبداية والنهاية[4]، وتاريخ الإسلام[5]، وتاريخ دمشق[6]، ووردت بعدة روايات منها:

---

(١) العقد الفريد، (٢/ ٣١٠).

(٢) ينظر: تقريب التهذيب (١/ ٣٠٨)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧٩).

(٣) العقد الفريد، (٢/ ٣٠٩)، (٥/ ١٧١).

(٤) البداية والنهائية (٩/ ٦٤).

(٥) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، (٦/ ٧٣).

(٦) تاريخ دمشق، (٣٧/ ١٣٩).

١ - أنَّ عمر بن عبد العزيز كان جالسًا عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد لحّانًا، فقال: يا غلام، ادع لي صالح، فقال: يا صالحًا، قال الوليد: أنقص ألفًا، فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفًا[١].

٢ - وقد نقلت برواية أخرىٰ، وهي أنَّ جليسًا لعبد الملك بن مروان لحن فقال له رجل: زد ألف، فقال له عبد الملك: وأنت فزد ألفًا، وهذه الرواية الثانية وردت في أكثر من كتاب عن موسىٰ بن سعيد بن أبي بردة، وهذا يوثق صحتها.

وفي هذه الرواية تساوىٰ الرجلان في الخطأ واللحن؛ فالغلام أخطأ عندما نادىٰ (يا صالحًا)؛ لأن المنادىٰ العلم المفرد يُبنىٰ علىٰ ما يرفع به[٢]، والذي يظهر أنّ (صالح) هنا علم وليس نكرة مقصودة؛ لأن الخليفة ذكر هذا الاسم، وهو يدل علىٰ رجل بعينه، والرجل الذي قال: زد ألف أخطأ؛ لأنه وقف بالسكون علىٰ الاسم المنصوب، والصحيح أن يقول: زد ألفًا.

وبالنظر في الروايتين الأخيرتين يتضح مدىٰ تأثير (اللحن) في كلام الناس، وقد انتشر بسبب كثرة الفتوحات الإسلامية، واختلاط العرب مع غيرهم، حتىٰ إنه تسرب إلىٰ ألسنة العلماء والفقهاء والمحدثين وتساهلوا فيه[٣]، بل وصل الأمر أنَّ من لا يلحن يكون خارجًا عن المألوف، وهذا اللحن يكون في العلامة الإعرابية أو الدلالة أو التركيب أو البنية[٤]، ويكون بضم المكسور، أو كسر المضموم، وقد يمدون المقصور، ويقصرون الممدود[٥].

---

(١) ينظر: العقد الفريد، (٢/ ٣٠٩)، والبداية والنهاية، (٩/ ١٨٦).

(٢) ينظر: أوضح المسالك، (٤/ ١٧).

(٣) ينظر: لحن العوام، الزُّبيدي، (ص٥٩).

(٤) فاختلاف البنية يؤدي إلىٰ اختلاف المعنىٰ، كما في ذِلّ علىٰ وزن (فِعْل) ضد الصعوبة، وذُلّ علىٰ وزن (فُعْل) ضد العز، ينظر: إصلاح المنطق، ابن السكيت، (ص٣٣).

(٥) ينظر: تقويم اللسان، لابن الجوزي، (ص٥٦).

وقد تصدىٰ العلماء لهذه الظاهرة، وكان أول من تصدىٰ لها أبو الأسود الدؤلي، فوضع علم النحو، ثم أتىٰ العلماء من بعده، فألَّفوا مؤلفات كثيرة؛ للحفاظ علىٰ سلامة اللغة، والتنبيه إلىٰ ما أفسده العامة، ومن هذه المؤلفات: (إصلاح المنطق) لابن السكيت، و(لحن العوام) للزُّبيدي، و(تقويم اللسان) لابن الجوزي، وغير ذلك وثِّق من هذه الكتب في الحاشية...

لقد بذل اللغويون جهودًا كبيرة في خدمة العربية، فرحلوا إلىٰ البادية وشافهوا الأعراب، وقاموا بتحديد البيئة الزمانية والمكانية لدراسة اللغة، ولكن بعد انتشار اللحن تحول النحو العربي إلىٰ المعيارية؛ وذلك بفرض القاعدة النحوية، فهذا المنهج يبدأ بالكليات وينتهي بالجزئيات، فهو يغلب القاعدة علىٰ النص، فيجعلها قانونًا يجب احترامه[1].

* * *

(١) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، (ص٣٠-٣١).

المبحث الثاني
قصص المناظرات والخلافات اللغوية وموثوقيتها

تعد هذه القصص من الموضوعات التي تستحق البحث والاختبار، فهي من القصص والأخبار التي تضمنتها المؤلفات العربية، والتي تدور حول الرواة والنحاة وترىٰ في بعضها الوضع والافتعال، وسنخصص مناقشتنا في هذه الصفحات لتلك الأخبار والروايات، وعلىٰ ما فيها من أحكام علىٰ الروايات والرواة أنفسهم توثيقًا، وتجريحًا وتضعيفًا؛ لأنَّ بحثنا إنَّما هو موثوقية القصة اللغوية، والرواية هي المصدر الأصيل فيها.

ولا بد لنا، حتىٰ ينتظم بين أيدينا وجه هذا المبحث، أن نلمح إلىٰ نشأة مدرستين فكريَّتين متناظرتين، نشأت إحداهما في البصرة، والأخرىٰ في الكوفة. وقد قاد الخلاف بينهما إلىٰ تعصب علماء كل مدرسة لمدرستهم، وأن يخطئوا علماء المدرسة الأخرىٰ ويضعفوهم. وعليه جاء هذا المبحث ليعرض مجموعة من القصص النحوية للوقوف علىٰ مدىٰ موثوقيتها في سندها ومتنها. حيث تناولت تسعة نماذج من القصص النحوية جرت مناظراتها بين عدد من العلماء، وصرفت لكل منها اسمًا مشتقًا من متنها وهي: رئمان أنف، وبازل عامين، والمهر مهر، والعقرب أشد لسعة من الزنبور، وتصدير الاستثناء بـ(إلا)، ما مر بك مثل اليوم، والضحىٰ، وطلب كتاب في النحو، وتنكُّر التلميذ لشيخه.

*** القصة الأولىٰ: «رئمان أنف» بين الكسائي والأصمعي:**

نقلت هذه القصة في عدد من كتب اللغة والأدب، ومنها كتاب أمالي الزجاجي، وأمالي الشجري، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، وخزانة الأدب للبغدادي، وسنورد هذه الروايات في مواضعها من هذه القصة بأسانيدها ومتونها موثقة من مصادرها، وأوّل من أشار إليها، ونقل جزءًا منها ابن هشام، وكان الزجاجي أول من

أوردها كاملة في أماليه، ثم تبعه في نقلها ابن الشجري، وياقوت الحموي، أما البغدادي فقد نقلها عن الزجاجي بنصها.

١- الرواية في أمالي الزجاجي: «قَالَ أَبُو الْقَاسِم؛ عبد الرَّحْمَن بن إسحاق: أخبرنَا أَحْمَد بْن الْحُسَيْن الْمَعْرُوف بِابْن شقير النَّحْوِيّ وَعلي بْن سُلَيْمَان الْأَخْفَش قَالَا: أخبرنَا أَحْمَد بن يحيىٰ ثعلبٌ قَالَ:... أَنْشد الْكسَائي:

أم كَيفَ ينفع مَا تُعْطِي الْعلُوق بِهِ ❊ رئمان أنفٍ إِذا مَا ضنَّ بِاللَّبنِ[1]

فَقَالَ الْأَصْمَعِي: إِنَّمَا هُوَ رئمانَ أنف بِالنّصب. فَقَالَ لَهُ الْكسَائي: اسْكُتْ مَا أَنْت وَذَاكَ يجوز رئمانُ أنفٍ، ورئمانَ أنفٍ، ورئمانِ أنفٍ. بِالرَّفْع وَالنّصب والخفض. أما الرّفْع فعلىٰ الرَّد علىٰ (مَا) لِأَنَّهَا فِي مَوضِع رفعٍ بـ(ينفع)، فَيصير التَّقْدِير: أم كَيفَ ينفع رئمانُ أنفٍ؟ وَالنّصب بـ(تعطي)، والخفض علىٰ الرَّد علىٰ الْهَاء الَّتِي فِي بِهِ. قَالَ: فَسكت الْأَصْمَعي...»[2].

٢- الرواية في أمالي ابن الشجري: «روي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: كان الكسائي والأصمعي يومًا بحضرة الرّشيد، وكانا ملازمين له، يقيمان بإقامته، ويظعنان بظعنه... إلىٰ قوله: «لم يكن صاحب إعراب»[3].

٣- الرواية في معجم الأدباء: «قال أبو عبد الله ابن مقلة: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيىٰ، قال: اجتمع الكسائي والأصمعي عند الرشيد.... فأنشد الكسائي:

أم كَيفَ ينفع مَا تُعْطِي الْعلُوق بِهِ ❊ رئمان أنفٍ إِذا مَا ضنَّ بِاللَّبنِ

فقال الأصمعي ريمانُ بالرفع، فقال له الكسائي: اسكت ما أنت وهذا، يجوز رئمان ورئمان

(١) الأمالي، الزجاجي، (١/ ٥٠).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٥٠-٥١).

(٣) أمالي ابن الشجري، ابن الشجري، (١/ ٥٤).

ورئمان... فسألت أبا العباس: كيف جاز ذلك؛ فقال: إذا رفع رفع بـ(ينفع)... وإذا نصب نصب بـ(يعطي)، وإذا خفض ردّه علىٰ الهاء في به»[1].

٤- الرواية في مغني اللبيب: «وَقد أنْشدهُ الْكسَائي فِي مجْلِس الرشيد بِحَضْرَة الْأَصْمَعِي فَرفع رئمان فَردَّه عَلَيْهِ الْأَصْمَعِي، وَقَالَ إِنَّه بِالنّصب، فَقَالَ لَهُ الْكسَائي اسْكُتْ مَا أَنْت وَهَذَا، يجوز الرّفْع وَالنّصب والجر، فَسكت؛ وَوَجهه أَن الرّفْع علىٰ الْإِبْدَال من (مَا)، وَالنّصب بـ(تعطي)، والخفض بدل من الْهَاء»[2].

٥- الرواية في خزانة الأدب: قَالَ الزجاجي فِي أَمَالِيهِ: «أخبرنَا أَحْمد بن الْحُسَيْن... إلىٰ قوله: «وَلم يكن صَاحب إعراب»[3].

ومن خلال الاطلاع علىٰ الروايات السابقة تبيَّن الآتي:

- جاءت القصة في أمالي الزجاجي من طريقين: طريق أحمد بن الحسين، وعلي بن سليمان، وهذا يعضد الرواية، ويجعلها أصدق في نقل الخبر. أما رواية معجم الأدباء فهي معلقة بأبي عبد الله ابن مقلة (٢٧٢هـ-٣٢٨هـ) إذ تحقق له نقلها بالإخبار عن أبي العباس ثعلب (٢٠٠هـ-٢٩١هـ) قبل التاسعة عشرة من عمره، أمر يجعل فيها نظر.

- اعتمد البغدادي في خزانته علىٰ رواية الزجاجي، أما ابن الشجري فقد علقها بأبي العباس ثعلب في قوله: «روي عن أبي العباس ثعلب» لكونه مباشرًا له في نقل القصة زمنيًا؛ إذ توفي الزجاجي في (٣٤٠هـ) وعاش ابن الشجري بين (٤٥٠هـ-٥٤٢هـ)، وقطع ابن هشام الرواية في المغني عن سندها، بقوله: «أنشد الكسائي».

(١) معجم الأدباء، (٤/ ٧٤٤).

(٢) مغني اللبيب، (ص٦٧).

(٣) خزانة الأدب، (١١/ ١٤٧-١٤٨).

– الرواية التي جاء بها الحموي في معجمه مدعاة للشك؛ لتفرده بسندها، وعدم اعتمادها في كتب اللغة والأدب، ومما يؤكد ضعف هذه الرواية وردها، قوله: «فقال الأصمعي ريمانُ بالرفع»، بينما ذكرت في جميع الروايات بقول الأصمعي: «رئمانَ أنف بالنصب»، هذا من جانب، ومن جانب آخر وردت كلمة «رئمان» بالقطع للهمزة في جميع مواطن ورودها، إلا رواية الحموي فقد جاءت بالتسهيل، لاسيما اعتماد جل كتب اللغة والأدب علىٰ رواية الزجاجي في أماليه من طريق أحمد بن الحسين، وعلي بن سليمان الأخفش.

– إن الكسائي في روايات القصة هو من علل وجوه الإعراب التي تأتي عليها «رئمان أنف»، ويتبدىٰ ذلك في قوله: «أما الرفع فعلىٰ الرد علىٰ (ما)؛ لأنها في موضع بـ(ينفع)، والنصب بـ(تعطي)،... والخفض علىٰ...» في حين تقدم لنا رواية الحموي أبا العباس ثعلب معللًا ومفسرًا للوجوه الإعرابية، وذلك بقوله: «فقال الكسائي: اسكت ما أنت وهذا... فسألت أبا العباس»، وبهذا يكون الحموي ألحق «أبا العباس» في أحداث القصة وبيان العلة النحوية، وهذا يتعارض مع أصل المناظرة بين الأصمعي والكسائي. لاسيما أن أحداث القصة بمختلف مواضعها في كتب اللغة والأدب تثبت أنَّ الكسائي هو من تصدىٰ لوجوه الإعراب بالتعليل.

– تؤكد رواية المغني أن الكسائي قد أنشد بحضرة الأصمعي برفع (رئمانُ) فردَّه الأصمعي وقال إنه بالنصب، وهذا يتوافق مع جميع الروايات، ويتعارض مع رواية الحموي، في «قول الأصمعي ريمان بالرفع» فكيف يكون الإنشاد بالرفع والتصويب له بالرفع. أما الوجه النحوي الذي جاء عليه هذا الشاهد فلا يقدح في معياريته؛ لأنه عند أكثر النحويين علىٰ وجوه ثلاثة بالرفع والنصب والخفض، علىٰ التخريج الذي ذكره الكسائي في المناظرة.

*** القصة الثانية: «بازل عامين» بين أبي العباس ثعلب والرياشي:**

رويت هذه القصة في عدد من كتب اللغة والأدب، ومنها كتاب معجم الأدباء، ومجالس العلماء للزجاجي، والعقد الفريد، والبصائر والذخائر. وأصل هذه القصة في مجالس العلماء

للزجاجي، فقد نقلها كاملة بسندها، واقتصر ابن عبد ربه، وأبو حيان التوحيدي علىٰ ذكر موطن الشاهد النحوي منها، ثم أوردها الحموي كاملة معلقة بأبي العباس ثعلب، وفيما يأتي نقل لهذه الروايات بأسانيدها ومتونها موثقة من مصادرها.

١- الرواية في مجالس العلماء للزجاجي: «قال أبو عمر محمد بن أحمد بن إسحاق القطربلي: قال أبو العباس أحمد بن يحيىٰ: كنت أصير إلىٰ الرياشي لأسمع ما كان يرويه، وكانت قطعته شهدًا، فقال يومًا: كيف تروي هذا البيت بازلُ عامين أو بازلَ عامين؟ يعني في قول الشاعر:

مـا تـنقمُ الحـربُ العـوان منـي * بـازلُ عـامين صـغيرٌ سنـّي[1]

فقلت له: تقول لي هذا في العربية، إنما أصير إليك لهذه المقطعات والخرافات، يروي (بازلُ عامين)، و(بازلَ عامين)، و(بازلِ عامين)، فأمسك. الرفع علىٰ الاستئناف، والخفض علىٰ الإتباع، والنصب علىٰ الحال[2].

٢- الرواية في العقد الفريد: «قال الأخفش: وقد كان الخليل يجيز «إخواني» مع «أصحابي» ويأبىٰ عليه العلماء، ويحتج بقول الشاعر:

بـازلُ عـامين صـغيرٌ سنـّي[3]

٣- الرواية في البصائر والذخائر: «قال ابن سلام، قلت ليونس: كيف ينشد الرجز:

مـا تـنقمُ الحـربُ العـوان منـي * بـازلُ عـامين صـغيرٌ سنـّي

قال: علىٰ الثلاثة أوجه، بالرفع علىٰ الاستئناف، وبالجر علىٰ (من)، وبالنصب علىٰ الحال[4].

(١) العقد الفريد، (٦/ ٣٥٠).
(٢) مجالس العلماء، الزجاجي، (ص٤٧).
(٣) العقد الفريد، (٦/ ٣٥٠).
(٤) البصائر والذخائر، (٢/ ١٨٢).

٤- الرواية في معجم الأدباء: «وقال أبو العباس: كنت أصير إلىٰ الرياشيّ لأسمع عنه، وكان نقي العلم، فقال لي يومًا وقد قرئ عليه:

مـــا تـــنقمُ الحـــربُ العـــوان منـــي * بـــازلُ عـــامين صـــغيرٌ سنـــّي

كيف تقول بازلُ أو بازلَ؟ فقلت: أتقول لي هذا في العربية؟ إنما أقصدك لغير هذا، يروىٰ بازلُ وبازلَ وبازلِ: الرفع علىٰ الاستئناف، والخفض علىٰ الإتباع، والنصب علىٰ الحال، فاستحيا وأمسك[1].

من خلال تتبع الروايات التي جاءت بها القصة النحوية نلاحظ ما يأتي:

أولًا: جاء سند القصة لدىٰ الزجاجي معلقـًا بـ«أبي عمر محمد بن أحمد بن إسحاق القطربلي»، ولم نعثر علىٰ سيرة هذا الرجل في كتب الرجال والتراجم، في حين يتبين أن الذي حدَّث عن أبي العباس ثعلب هو «الْحُسَيْن بن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّد، أَبُو عَلِيّ القطربلي» ولم يتبع في النقل الطريق الذي سلكه الزجاجي، فقد انعدم ذكر ذلك الرجل، وهذا يقودنا إلىٰ تضعيف سند هذه الرواية؛ لتعليقها برجل مجهول النسبة.

ثانيًا: أول من ذكر هذه القصة بسند هو الزجاجي، أما ياقوت الحموي فقد علقها بصاحبها، من دون ذكرٍ للسند، ولما انعدمت نسبة الراوي اكتفىٰ بتعليق الرواية بأبي العباس ثعلب.

ثالثًا: انعدام نسبة الراوي لا يضعف المسألة؛ لترجيح كونها أجنبية عنها، فاحتجاج الخليل بهذا الرجز يؤكد ثبوته، ولهذا يتحتم فصل أغلب هذه القصص عن مسائلها اللغوية حتىٰ تثبت موثوقيتها، وبعض هذه القصص قد تكون وضعت في زمن لاحق لتلك المسائل، ويدل علىٰ ذلك أن القصة اللغوية لم يكن لها أثر في تكوين القاعدة النحوية بل إنّ القاعدة النحوية قد كُونت قبل وضع القصة، والقصة طارئة عليها، وليس للقصة أي أثر في تكوين القاعدة اللغوية، وعليه جاءت

(١) معجم الأدباء، (٢/ ١٣٨).

عبارات القصص عند الحديث عن المسألة اللغوية بأوجه نحوية محددة سبقت وضع القصة، نحو قولهم: «يروىٰ بازلُ عامين وبازلَ عامين، وبازلِ عامين، بالرفع والنصب والخفض»، ونسجت في ظروف اجتماعية مغايرة، وخارج إطارها الجغرافي، فلا يمكننا القطع بثبوتها إلا من خلال ثبوت سندها، فأغلب هذه القصص لها دواعيها التي استجلبت لها.

رابعًا: بلغ عدد كلمات رواية الحموي ثمانيَ وأربعين كلمة، بينما بلغ عدد الكلمات في رواية الزجاجي خمسًا وسبعين كلمة؛ لأن نقل الواقعة يحتاج تفصيلًا للحدث، وعليه تكون رواية الحموي قد وقفت علىٰ نقل الفكرة والمعنىٰ نقلًا يغيب بعض أحداث القصة، في حال وقوعها فعلًا، وتضمنت رواية الزجاجي عبارات تحمل معاني الانتقاص من الطرف الآخر؛ كقوله: «الخرافات، المقطعات»، بينما خلت منها رواية الحموي، الأمر الذي يؤكد الارتكاز علىٰ الحافظة في نقلها، أو عدم الاعتقاد بوقوعها، ومن جانب آخر اعتمد الحموي في نقلها علىٰ السماع غير المباشر من الراوي عن أبي العباس ثعلب، بينما قيدت رواية الزجاجي الرواية بالسماع المباشر عن ثعلب، إشارة إلىٰ وقوع التحريف أو الخطأ في الراوي مجهول النسبة.

خامسًا: ربما تكون هذه القصة من وضع الكوفيين لحيازة البصرة علىٰ السبق إلىٰ التقعيد، أو تكون أثرًا من آثار الخلاف بين المدرستين، وتعصب كل فريق لمدرسته، نتيجة لسجل الاتهام الدائر بينهما، ونخص بذلك الكوفيين الذين أُخذ عليهم أنهم احتجوا بلغة الأعراب الذين فسدت سليقتهم، وفي إطار هذا الخلاف يُعرّض الرياشي بأعلام المدرسة الكوفية بأنهم استقوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز. وقد بلغت الخصومات والاتهامات بين المدرستين مبلغًا تجاوز حد التنافس، ونازعهم الكوفيون ادعاء بادعاء وجدالًا بجدال، حتىٰ قال في ذلك ثعلب: «انتهىٰ علم اللغة والحفظ إلىٰ ابن الأعرابي»[1]، ومواطن النزاع والخلاف بينهم كثيرة، تبين ما

(١) معجم الأدباء، (٦/ ٥٣٠).

آلت إليه هذه النزاعات إلىٰ الخصومة في الدرس النحوي، حتىٰ وصل حد التضعيف والرد علىٰ حساب اللغة، وعليه يرجح أن تكون هذه القصة موضوعة من قبل أبي العباس ثعلب، ومردها تلك المناوشات والخصومات المتأصلة عند أعلام المدرستين، ويؤيد ذلك قوله: «إنما أصير إليك لهذه المقطعات والخرافات»، وقوله: «فاستحيا فأمسك»، أمر يثير الشك في موثوقية هذه القصة، فربما تكون هي اختلاقًا من ثعلب نفسه، لغاية الانتقاص من الرياشي، فحالها كغيرها من القصص التي ألصقها أصحاب المدرسة الكوفية بأعلام المدرسة البصرية.

سادسًا: ربما تكون هذه القصة من اختلاق الرواة؛ لغاية الانتصاف من المدرسة البصرية، أو من وضع المتعلمين، ولهذا علقت براوٍ مجهول النسبة، فمدرسة البصرة قعدت للغة وفق معايير قياسية عامة انتهجتها وسارت عليها بإتقان وإحكام، لا تتمرد عليها ولا تحيد عنها وتلتزمها بكل دقة وحزم، فيها شدة في التقعيد، تلامس المنهجية التعليمية والتلمذة، أما مدرسة الكوفة فكانت أكثر مرونة في المنهج وجرأة في القياس، أقرب إلىٰ إدراك طبيعة اللغة واستنباط خصائصها استنباطًا صحيحًا، وقد وجهت اتهامات كثيرة للكوفيين بأنهم كانوا يضعون وينحلون، وإنما كان سبب بعضه هذه الخصومات والمنازعات المنهجية التي نشبت بين المدرستين، وكان بعضه الآخر لحقيقة هذا الوضع. أما الوجه النحوي الذي جاء عليه هذا البيت فلا يقدح في معياريته؛ لأنه عند أكثر النحويين علىٰ وجوه ثلاثة بالرفع والنصب والخفض، علىٰ التخريج الذي ذكره ثعلب.

*** القصة الثالثة: «المهر مهر» بين الكسائي واليزيدي:**

وردت هذه القصة في عدد من كتب اللغة والأدب، ومنها كتاب مجالس العلماء، ومعجم الأدباء، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وطبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي، وحياة الحيوان للدميري، ودرة الغواص للخفاجي. وأصل هذه القصة عند الزجاجي في مجالسه، ثم نقلها الخفاجي بلفظ الحكاية من غير سند، ثم نقلها الحموي كاملة مرفوعة إلىٰ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب، ونقلها ابن خلكان كاملة بلفظ الحكاية وبقطع سندها، ثم نقلها السبكي كاملة بلفظ

الحكاية عن أبي محمد بن جعفر البلخي، ونقلها الدميري كاملة بتعليق سندها بأبي جعفر أحمد بن جعفر البلخي. وفيما يأتي نقل لهذه الروايات بأسانيدها ومتونها موثقة من مصادرها.

١- الرواية في مجالس العلماء للزجاجي: «قال: حدثنا أبو إسحاق الطلحي قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب عن أبيه قال: سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد وقال: انظروا، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

لا يكـــــون العَيـــــرُ مُهـــــرًا ❋ لا يكـــــونُ المُهـــــرُ مهـــــرُ[1]

فقال الكسائي: قد أقوىٰ الشاعر، فقال اليزيدي: انظر جيدًا، فقال: أقوىٰ؛ لا بد أن ينصب (المهر) الثاني علىٰ أنه خبر (كان). قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال: المهر مهر، فقال له يحيىٰ بن خالد: أتتكئ بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك! والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع فعلك، فقال: لذة الغلب أنستني من هذا ما أحس»[2].

٢- الرواية في معجم الأدباء: «وحدث المرزباني فيما رفعه إلي إبراهيم بن إسماعيل الكاتب، قال: سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد فقال: انظر في هذا الشعر عيب، وأنشده:

لا يكـــــون العَيـــــرُ مُهـــــرًا ❋ لا يكـــــونُ المُهـــــرُ مهـــــرُ

فقال الكسائي: قد أقوىٰ[3] الشاعر، فقال له اليزيدي: انظر فيه، فقال: أقوىٰ؛ لا بدّ أن ينصب

---

(١) مجالس العلماء، (١/ ١٩٥).

(٢) المرجع نفسه، (١/ ١٩٥).

(٣) الإقواء: اختلاف المجرىٰ (حركة الروي المطلق) بالضم والكسر، ومن الإقواء قول حسان بن ثابت:

لا بأس بالقومِ من طولٍ ومن قصر ❋ جسمُ البغالِ وأحلام العصافيرِ

كـأَنهُم قَـصَبٌ، جُـوفٌ أَسـافِلُه ❋ مُثَقَّـبٌ نَفَخَـتْ فـيه الأَعاصـيرُ

أهدىٰ سبيل إلىٰ علمي الخليل «العروض والقافية»، محمود مصطفىٰ، (ص١٢٦).

(المهر) الثاني علىٰ أنه خبر (كان)، قال: فضرب اليزيديّ بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال المهر مهر، فقال له يحيىٰ بن خالد: أتتكنّىٰ بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك؟! والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحبّ إلينا من صوابك مع سوء فعلتك، فقال: لذة الغلب أنستني من هذا ما أحسن»[1].

٣- الرواية في وفيات الأعيان: «وحكىٰ أبو أحمد بن جعفر البلخي في كتابه أن اليزيدي المذكور سأل الكسائي عن قول الشاعر:

لا يكـــــون العَيـــــرُ مُهـــــرًا ❋ لا يكـــــونُ المُهـــــرُ مهـــــرُ

فقال الكسائي: يجب أن يكون «مهر» منصوباً علىٰ أنه خبر (كان)، ففي البيت علىٰ هذا التقدير إقواء، فقال اليزيدي: الشعر صواب؛ لأن الكلام قد تم عند قوله «لا يكون» الثانية، وهي مؤكدة للأولىٰ، ثم استأنف الكلام، فقال «المهر مهر»، وضرب بقلنسوته الأرض، وقال: أنا أبو محمد، فقال له يحيىٰ بن خالد البرمكي: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟ والله إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء أدبك، فقال اليزيدي: إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ»[2].

٤- الرواية في طبقات الشافعية الكبرىٰ: «وَحكىٰ أَبُو مُحَمَّد بن جَعْفَر البلخي في كِتَابه أَن أَبَا مُحَمَّد يحيىٰ بن الْمُبَارك اليزيدي النحوي سَأَلَ الكسائي عَن قَول الشَّاعِر:

لا يكـــــون العَيـــــرُ مُهـــــرًا ❋ لا يكـــــونُ المُهـــــرُ مهـــــرُ

فَقَالَ الكسائي يجب أَن يكون الْمهْر مَنْصُوبًا علىٰ أَنه خبر (كَانَ)، وفِي الْبَيْت علىٰ هَذَا التَّقْدِير إقواء، وَقَالَ اليزيدي: بل الشّعْر صَوَاب؛ لِأَن الْكَلَام قد تمّ عِنْد قَوْله لَا يكون الثَّانِيَة، وهىٰ

(١) معجم الأدباء، (٤/ ٧٤٢).

(٢) وفيات الأعيان، (٦/ ١٨٦-١٨٧).

مُؤَكدَة للأولىٰ، ثمَّ اسْتَأْنف فَقَالَ الْمهْر مهر، ثمَّ ضرب بقلنسوته الأَرْض وَقَالَ أَنا أَبُو مُحَمَّد، وَكَانَ بِحَضْرَة الْخَلِيفَة، فَقَالَ يحيىٰ البرمكي: أتكتني بِحَضْرَة أَمِير الْمُؤمنِينَ؟، وَالله إِن خطأ الكسائي مَعَ حسن أدبه لأحسن من صوابك مَعَ سوء أدبك، فَقَالَ اليزيدي: إِن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ»[1].

٥- الرواية في حياة الحيوان الكبرىٰ للدميري: «ذكر أبو جعفر أحمد بن جعفر البلخي أن الرشيد جمع بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا بين يديه، فسأل اليزيدي والكسائي عن إعراب قول الشاعر:

لا يكـــــون العَيـــــرُ مُهـــــرًا ❊ لا يكـــــونُ المُهـــــرُ مهـــــرُ

فقال الكسائي: يجب أن يكون المهر منصوبًا علىٰ أنه خبر (كان)، ففي البيت علىٰ هذا إقواء، فقال اليزيدي: الشعر صواب؛ لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون، ثم استأنف فقال: المهر مهر، ثم ضرب الأرض بقلنسوته وقال: أنا أبو محمد، فقال له يحيىٰ بن خالد: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين وتسفه علىٰ الشيخ؟ فقال له الرشيد: والله إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه، أحب إلي من صوابك مع قلة أدبك. فقال: يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ، فأمر بإخراجه»[2].

٦- الرواية في درة الغواص للخفاجي: «ويحكىٰ أن الرشيد لما جمع بين «أبي الحسن الكسائي»، و«أبي محمد اليزيدي» إلىٰ آخر ما حكاه، قال «أبو محمد البلخي»: المجلس الذي جرىٰ بينهما إنما كان في بيت شعر، سأل «اليزيدي» عن إعرابه، وهو:

لا يكـــــون العَيـــــرُ مُهـــــرًا ❊ لا يكـــــونُ المُهـــــرُ مهـــــرُ

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ، السبكي، (٣/ ١٤٢).

(٢) حياة الحيوان الكبرىٰ، الدميري، (١/ ٤٠٧).

فقال «الكسائي: «يجب أن يكون المهر منصوبًا علىٰ أنه خبر (كان)، ففي البيت علىٰ هذا إقواء، قال «اليزيدي»: الشعر صواب؛ لأن الكلام تم عند قوله لا يكون، فغضب عليه الرشيد، وقال: أتكتني بمجلسي وتسفه علىٰ الشيخ؟ والله إن خطأ «الكسائي» مع حسن أدبه لأحب إليّ من صوابك مع قبح أدبك. فقال: يا أمير المؤمنين، إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ، فأمر بإخراجه»[1]

بعد عرض هذه الروايات والمقابلة بين أسانيدها ومتونها يتبين ما يأتي:

وردت الرواية الأولىٰ بسند متصل عن طريق أبي إسحاق الطلحي، محدّثا عن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب عن أبيه، أما الرواية الثانية فبسند مرفوع إلىٰ إبراهيم الكاتب، وعليه تعد رواية الزجاجي أوثق هذه الروايات، لا سيما أن الزجاجي قد عاصر أحمد بن إسماعيل، والمعاصرة تحول دون الشك كذلك بهذه الرواية. وأول من ذكر القصة الزجاجي في مجالس العلماء، وقد ورد في الرواية الثالثة، قوله: «حكىٰ أبو أحمد بن جعفر البلخي في كتابه» وفي الرواية الرابعة قوله: «وحكىٰ أبو محمد بن جعفر البلخي في كتابه» وبعد البحث لم نعثر علىٰ أي كتاب أو مخطوط أو نسبة لهما، وعليه نضعف سند هاتين الروايتين؛ لعدم وجود نسبة لهما في طبقات الرواة والمحدثين وكتب الرجال والتراجم. واعتمدت الرواية الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة علىٰ ألفاظ الجهالة وهي: «حكىٰ، يحكىٰ، ذكر» وهذا الاعتماد في النقل يضعف السند والحال التي جاءت عليها القصة، بينما اعتمدت الرواية الأولىٰ والثانية علىٰ لفظ «التحديث» وهي أقوىٰ الألفاظ التي يعتمد عليها في قوة السند وموثوقيته. وقد عُلقت الرواية الخامسة بالحكاية عن «أبي جعفر أحمد بن جعفر البلخي» وفي حدود ما توصلنا إليه في كتب الرجال والتراجم لم نعثر علىٰ هذا الرجل سوىٰ في سلسلة اسم «الحسن بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر البلخي

(١) شرح درة الغواص في أوهام الخواص، الشهاب الخفاجي، (ص١٩٦، ١٩٧).

أبي علي الوخشي»، ولا نعلم إذا كان هو المقصود بهذه الرواية أم غيره.

وتوافقت الرواية الأولىٰ والثانية بوقوع المناظرة بحضرة الرشيد، بينما خلت بقية الروايات من التصريح بمكان وزمان وقوعها. ويتبين التوافق التام بين عبارات الروايتين الأولىٰ والثانية باللفظ نفسه، وهذا يشير إلىٰ اعتماد الحموي في النقل علىٰ رواية الزجاجي، بينما توافقت بقية الروايات فيما بينها في نسقية العبارات والجمل، واختلفت مع الروايتين الأولىٰ والثانية في توظيف العبارات مع الحفاظ علىٰ فكرة القصة، وفي هذا المقام نؤكد علىٰ أن العلماء قد استندوا في الروايات: الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة علىٰ رواية ابن خلكان، ولم يعتمدوا في النقل علىٰ أصولها التي وثقتها بسندها المتصل.

ومن نتائج ذلك أن اعترىٰ القصة في عباراتها شيء من التصحيف والزيادة والنقص والخطأ في النسبة، كتصحيف كلمة «تتكنىٰ» التي تحولت إلىٰ «تكتني»، وحذف عبارة «وتكشف رأسك» وزيادة عبارة «وتسفه الشيخ» وعبارة «فغضب عليه الرشيد» وقد نسبت الرواية الخامسة والسادسة مقولة: «خطأ الكسائي مع حسن أدبه» إلىٰ الرشيد، بينما نسبتها بقية الروايات إلىٰ يحيىٰ البرمكي، واتفقت الرواية الأولىٰ والثانية باستعمال عبارة «لذة الغلب أنستني من هذا ما أحس»، بينما استعملت بقية الروايات عبارة «حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ» وهذا يؤكد الخطأ في النقل دون التوثيق. ويؤكد أيضًا أن القصة قد نقلت في اللفظ والمعنىٰ وأما بقية الروايات فقد استندت علىٰ نقل المعنىٰ من دون اللفظ فداخلها التصحيف والحذف والزيادة، وهذا الأمر يقودنا إلىٰ إعادة النظر في تشكيل مكونات بعض القصص النحوية، وذلك من خلال تأصيلها وربطها بأحداثها الموثقة.

أما المسألة النحوية التي تضمنتها القصة فتحتمل الاستئناف علىٰ معنىٰ أن المهر لا يصدق عليه إلا المهرية، وعلىٰ كون المهر مهرًا لا غيره، أما القول بالإقواء فعلىٰ سبيل الظن بالمهرية، لمن وقع ظنه عليه أنه مهر.

إن المعاني الخبيئة في أحداث هذه القصة تكشف عن الهدف من وراء هذه المناظرة وهو الإيقاع بالكسائي، وذلك من خلال هذا اللغز النحوي الذي جاء به اليزيدي، ومرد ذلك إلىٰ الخلاف المستحكم بين علماء المدرستين البصرية والكوفية، وفي حقيقة الأمر، وبحمل هذه المسألة علىٰ الظن بالمهرية، يكون الكسائي قد أجاب ولم يخطئ، لاسيما أنه تلقىٰ المسألة للإفادة في مسألة نحوية لمن هم في مجلس الرشيد، ولم يتنبه إلىٰ ما دبر له.

تلقىٰ الكسائي الرجز علىٰ معناه الصريح، فكان جوابه بالإقواء، وحمل الإعراب علىٰ صريح المعنىٰ أولىٰ من حمله علىٰ تأويله، فالمعنىٰ الصريح للرجز رفع الشك لمن ظنه مهرًا، وبهذا لم يخطئ الكسائي، وكثيرٌ من العلماء قد نقلوا هذه القصة من دون تفحص للمسألة النحوية فكانت عندهم مسلمة في تأويلها.

ويتضح أنَّ الرجلَ قد أعدَّ العدة لهذه المناظرة للإيقاع بالكسائي، فاتخذ من الألغاز النحوية سبيلًا، وحمل الكلام علىٰ غير ظاهره، والقول بالاستئناف مع صراحة الإقواء، ويتأكد ذلك من بعض عبارات اليزيدي، وقوله للكسائي: «انظر جيدًا» لإثارة انتباه الرشيد والحاضرين علىٰ الخطأ الجلل الذي وقع به الكسائي، «وضربه الأرض بقلنسوته»، وقوله: «أنا أبو محمد» الغضب المفتعل الذي يواري فيه اليزيدي الكيد للكسائي، والمكر به، فلم يقترف الكسائي ذلك الذنب الذي يحمل اليزيدي علىٰ ضرب الأرض بقلنسوته في مجلس الرشيد.

وتناقل هذه العبارات في أغلب الروايات كان سببًا في صرف النظر عن حقيقة المسألة النحوية إلىٰ أحداث هامشية وقعت في مجلس الرشيد، فقد كانت من أساليب التصنع التي لجأ إليها اليزيدي للتوسط في الوقوف علىٰ المسألة النحوية، والانشغال بالأحداث من دونها، فكيف به يخلع قلنسوته ويضربها الأرض في حضرة الرشيد، ولهذا هيمن الحدث وجرأة المشهد علىٰ القصة، وتناقلها الرواة والعلماء، فصار رأي اليزيدي هو الجواب المسلم به من غير نظر في مسألة الإقواء، وبهذا يقع العدول في محورية القصة من مسألة نحوية إلىٰ قضية استهجان لفعل اليزيدي.

وما يرسخ حقيقة المكيدة بالكسائي قول الرشيد: «لخطأ الكسائي مع أدبه أحبُّ إلينا من صوابك مع فعلك» فقد حقق اليزيدي بحيلته ما أراد، وأوقع الخليفة في شركه من غير أن يدرك، وذلك بإقراره بخطأ الكسائي وبتصويبه له، من خلال إغضابه بسوء فعلته، ليتم وينجز ما رمىٰ إليه. وتستمر المؤامرة بأسلوب التورية بصيغة الاعتذار، وذلك بقوله: «لذة الغلب أنستني من هذا ما أحس» ليدلل علىٰ إقرار الرشيد بانتصاره علىٰ الكسائي؛ عبارة ظاهرها الاعتذار باطنها الإقرار بالغلبة.

*** القصة الرابعة: «العقرب أشد لسعة من الزنبور» بين سيبويه والكسائي:**

اشتهرت هذه القصة عند النحويين علىٰ مر التاريخ، حيث جاءت تسميتها استخلاصًا من المسألة النحوية التي دارت أحداثها الخلافية علىٰ شكل مناظرة بين البصريين والكوفيين ونخص من بينهم سيبويه والكسائي في مجلس يحيىٰ البرمكي «كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي» وعند الوقوف علىٰ مفاصل هذه القصة نجدها قد بدأت علىٰ غير ما أُخبر به سيبويه، حيث تدخَّل خلف الأحمر، وابتدر سيبويه بالسؤال تذرعًا بتأخر الكسائي عن الحضور، ثم ما لبث أن انتقل الحوار إلىٰ الفراء، فوقع في الخطأ. وأصل هذه القصة كاملة في أمالي الزجاجي بسند الإخبار والتحديث، كذلك نقلها الزبيدي كلها في طبقات النحويين بلفظ الحكاية عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس. وفيما يأتي نقل لهذه الروايات بأسانيدها ومتونها موثقة من مصادرها.

١ - الرواية في أمالي الزجاجي: «قال: أخبرنا أَبُو الحسن علي بْن سليمان الأخفش النحوي، حدثنَا أَبُو العباس أَحْمَد بْن يحيىٰ ثعلب، قَالَ: حدثني سلمة، قَالَ: قَالَ الفراء: قدم سيبويه علىٰ البرامكة...»[1].

(١) أمالي الزجاجي، (١/ ٣٩).

٢- الرواية في طبقات النحويين للزبيدي: «حكىٰ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس النحوي المصري قال: قال أحمد بن يحيىٰ ثعلب، ومحمد بن يزيد المبرد: لما ورد سيبويه العراق شقَّ أمرُه علىٰ الكِسائي»[١].

بعد سرد الروايات التي تضمنت القصة الزنبورية نقف من خلالها لمناقشة صحة وقوعها بالاستناد علىٰ مراتب السند والرواية من ناحية، ومن خلال مدىٰ واقعية ومصداقية الأحداث التي دارت حولها المناظرة.

أولًا: يذكر الأنباري في إنصافه أن الكوفيين قد استشهدوا بهذه القصة علىٰ أنها مناظرة بين الكسائي وسيبويه، حيث جمع يحيىٰ البرمكي بين سيبويه والكسائي للمحاورة، فقدم سيبويه إلىٰ مجلسه بحضور ولديه، فابتدأه علي الأحمر بالسؤال فأخطأ... فقال سيبويه هذا سوء أدب وأقبل عليه الفراء ثلاث مرات بالسؤال فقدر فأخطأ[٢].

ثانيًا: الحادثة حدثت في زمن البرامكة في مجلس يحيىٰ بن خالد، وكان له ولدان: جعفر، والفضل.

ثالثًا: حضر المجلس أولًا علي الأحمر، وجادل سيبويه وغلبه، مما يدل أن النية مثبتة فيما حدث لسيبويه بعد ذلك.

رابعًا: حضر الفراء، وحاول أن يظهر أنه أفضل من علي بن الحسن الأحمر، فجادل سيبويه وطرح مسألة وأخطأ فيها سيبويه وهو ما دفعه أن يرفض جدالهما حتىٰ يأتي شيخهما الكسائي، وبعد هذا الجدل «حضر الكسائي فأقبل علىٰ سيبويه... فقال كيف تقول: كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها، فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب،

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٦٨).

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبن الأنباري، (٢/ ٥٧٦ – ٥٧٧).

فقال له الكسائي لحنت... والعرب ترفع ذلك كله وتنصبه، فأمر يحيىٰ بن خالد بإدخال الأعراب الذين كانوا ببابه... فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فوافقوا الكسائي»[1].

خامسًا: يتبين أنَّ الأعراب الذين شهدوا للكسائي كانوا من أعراب الحطمة، ويؤكد ذلك ما جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي: «قال أصحاب سيبويه الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمة الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم»[2].

سادسًا: وصلتنا هذه القصة من خلال روايتين: رواية الزجاجي في أماليه، ورواية الزبيدي في طبقات النحويين: حيث يتبين الاختلاف بين رواة السندين، وإقحام النحاس والمبرد، واشتراك ثعلب والمبرد في نقل أو حكاية الرواية الثانية من ناحية أخرىٰ، وهذا مما دفع إلىٰ التشكيك في صدق الرواية.

سابعًا: نسبة هذه المناظرة للزجاجي ليست ثابتة، فمجالس العلماء تبدأ بذكر المجلس مباشرة، ولم يأت الزجاجي في روايته بالسند، وسلسلة الرواة في السند ليسوا علىٰ نفس الدرجة من القوة، ويعتمد في سلسلة السند علىٰ أقوىٰ صيغ النقل وهي التحديث، حتىٰ يصل إلىٰ راوي المسألة، فيقول سلمة: قال الفراء ولم يقل بالتحديث، وتتلاشىٰ المشافهة في الإخبار، وقد يكون سمع ذلك عن راوٍ عن الفراء، ولم يسمعه منه نفسه.

ثامنًا: إن الإبطاء في تناقل المؤلفات اللغوية، لهذه القصة عن زمن حدوثها يثير الشك في مصداقية حدوثها، لاسيما أنها لم تنقل لنا إلا في القرن الرابع الهجري عن طريق الزجاجي؛ إذ إنها لم ترد عند العلماء العرب الذين سبقوا الزجاجي والزبيدي وعنوا بمثل هذه القصص النحوية؛ كالفراء والأخفش، مع أنها تعد من القصص التي يعتد بها الكوفيون في تغلبهم علىٰ البصريين،

(١) الإنصاف، (٢/ ٥٧٦).

(٢) معجم الأدباء، (٥/ ١٢٦).

ناهيك عن افتقار كتب التراجم لذكرها. وفي ذلك يؤكد الذهبي علىٰ وضع هذه القصة وكذبها، حيث يقول: «وَقَدْ جَمَعَ يَحْيَىٰ البَرْمَكِيُّ بِبَغْدَادَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَسَائِيِّ لِلْمُنَاظَرَةِ، بِحُضُوْرِ سَعِيْدٍ الأَخْفَشِ، وَالفَرَّاءِ، وَجَرَتْ مَسْأَلَةُ الزُّنْبُورِ، وَهِيَ كَذِبٌ: أَظُنُّ»[1].

تاسعًا: نستطيع من خلال هذه القصة التأريخ لمدرسة الكوفة في النحو، فنبدأ بالكسائي؛ لأنه أول نحاة الكوفة الذين أسسوا لظهور المدرسة الكوفية في النحو، فيقول السيوطي: «كان عالم أهل الكوفة وإمامهم أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي»[2].

والوجه النحوي في هذه المناظرة هو الرفع بعد (إذا) الفجائية؛ فسيبويه يرىٰ الرفع فقط (فإذا هو هي)، مبتدأ وخبره، أما الكسائي فيجيز النصب (فإذا هو إياها)، فتكون (إياها) مفعولًا مطلقًا لفعل محذوف، أي: يلسع لسعها، أو أن (إياها) مفعول به، أي: فإذا هو يساويها.

*** القصة الخامسة: «تصدير الاستثناء بإلا» بين الكسائي والبصريين:**

تعد هذه القصة من بين القصص النحوية التي تستدعي الوقوف عندها للتأكد من مدىٰ موثوقيتها، حيث وردت في كتاب الإنصاف لابن الأنباري بجواز تصدير أداة الاستثناء «إلا» بداية الكلام، عند الكوفيين، وأكده الكسائي، وذهب إليه الزَّجَّاج، وخالفهم البصريون[3] وأكد هذه المسألة السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه، في عدم منع الكسائي القول: «إلا طعامك ما أكل زيد»، وعدم جوازه عند بقية الكوفيين من غير وجهة نحوية[4]. وأول من أورد هذه القصة السيرافي في شرح كتاب سيبويه، ونقلها ابن الأنباري في كتاب الإنصاف.

وبعد تتبع هذه المسألة في أغلب المصادر النحوية محاولة لرصد العلماء من أصحاب

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨/ ٣٥١).

(٢) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، (٢/ ٤٩).

(٣) الإنصاف، (١/ ٢٢٢).

(٤) ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي، (٣/ ١).

المدرسة الكوفية الذين قالوا بذلك، وتوثيقًا لقول ابن الأنباري «عند الكوفيين» لم نعثر على من تحدث بهذه المقالة من الكوفيين إلا الكسائي ﷺ، وأما ما قال به الزجاج فلا يتبين من قوله إنه يجيز تصدير الاستثناء بـ«إلا»، وكل ما أشار إليه أن الاستثناء يستعمل عند العرب لغاية توكيد العدد في حالة نقصانه[1]. ويؤكد ذلك ابن جني في معرض حديثه عن الفرق بين القول والكلام عند القول عن علة رفع المبتدأ بالابتداء لكان الجواب عليها هذا قول البصريين، أما علة رفعه بالعائد عليه، فيقال فيه هذا قول الكوفيين، ويقال فيه: كلام هؤلاء ولا كلام هؤلاء، إلا في حال أنزلت الكلام منزل القول، تتجاوز به.[2] وعلى قول الكوفيين سار البغداديون[3].

وعلى هذه الشاكلة جاءت أكثر آراء البغداديين، إما حملًا على ما قال به البصريون، أو على ما قال به الكوفيون، فلم يتفردوا برأي - على خلاف المدرستين - يعضده الاستدلال في زمن استحكم فيه الخلاف النحوي، وتنوعت طرائق الاستنباط والفهم؛ الأمر الذي يدفعنا إلى القول بدحض فكرة هذه المدرسة أو الموافقة على نسبة بعض الآراء لها.

إنَّ تعقُّب مثل هذه القصص لملاحظة مدى موثوقيتها في سندها ومتنها بدافع إثبات حقيقتها النحوية، يزيل كثيرا من الأوهام التي علقت بها فصارت ضربًا من المسلمات إلى حد لا يمكن الفصل بينها وبين متونها، إذ صار رد بعضها مخالفة، وخروجًا على التقليد، ناهيك عن أن تعقب هذه القصص قد يقود إلى إعادة النظر في كثير من المسلمات والأفكار التي قامت عليها في الدرس النحوي. وعليه يمكن القول إن الأحكام التي قررها الأنباري وقطع الرأي فيها في مسائل الإنصاف بإطلاق دلالاتها وعمومها من دون قيد أو نسبة الآراء إلى قائليها يدفع إلى إعادة النظر والتحقق من هذه المسائل ومتونها.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٤/ ١٦٣).

(٢) ينظر: الخصائص، ابن جني، (١/ ١٩).

(٣) ينظر: المصدر نفسه، (١/ ٢٠٠).

والوجه النحوي في هذه الرواية هو تقديم أداة الاستثناء أول الكلام، حيث أجازه الكوفيون ومنعه البصريون، والذي يظهر صحة مذهب البصريين أن تقديم الأداة يؤدي إلىٰ إعمال ما بعد (إلا) فيما قبلها، وهذا لا يجوز[1].

*** القصة السادسة: «ما مر بك مثل اليوم» بين اليزيدي والكسائي:**

ومن القصص النَّحوية قصة مناظرة اليزيدي مع الكسائي وثأره منه لأجل شيخه سيبويه في منزل المهدي في رمضان قبل خلافته بشهور، يقول الزجاجي: «حدثنا أبو عبد الله اليزيدي قال: أخبرني عمّي الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيىٰ بن المبارك اليزيدي، قال: كنا ببلدٍ مع المهدي في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر... فبعث إلي وإلىٰ الكسائي فصرت إلىٰ الدار، وإذا الكسائي بالباب قد سبقني، فقال: أعوذ بالله من شرك يا أبا محمد... فلما دخلنا علىٰ المهدي أقبل علي فقال: كيف نسبوا إلىٰ البحرين فقالوا بحراني، أو إلىٰ الحصنين فقالوا حصني؟ فقلت: لو قالوا في النسب إلىٰ البحرين بحري، لم يدر: النسبة إلىٰ البحرين وقعت أم إلىٰ البحر... فقال الكسائي:...كرهوا أن يقولوا حصناني فيجمعوا بين نونين، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة فقالوا بحراني لذلك... فسمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع: لو سألني الأمير لأجبته بأحسن من هذه العلة. فقلت: أصلح الله الأمير، إن هذا يزعم أنّك لو سألته أجاب بأحسن من جوابي. فقال: قد سألته،... فأطرق مفكرًا وأطال الفكر... وما زال يسأله حتىٰ قال له المهدي: يا كسائي ما مر بك مثل اليوم»[2].

وأغلب هذه المجالس لا تتسم بالإنصاف، فمحاباة السلطان لأحد المتنازعين، وإدناؤه منه ومنزلته عنده، كل ذلك دعّم الخصم وعززه فتجاسر علىٰ خصمه باستدلاله وسلاطة لسانه

(١) ينظر: الإنصاف، (١/ ٢٧٣-٢٧٧).

(٢) مجالس العلماء، (٢٢٠ – ٢٢١)، الأمالي، الزجاجي، (ص٥٩).

وحظوته في القصر وعند الحضور، فلهجت المجالس بانتصاره وبراعته، وبتقادم الأزمان وتلاشي تلك المراتب والمآثر، وسلطة التاريخ عاد الصواب إلىٰ أهله.

ومن خلال عرض هذه القصة يمكن أن نلاحظ أنَّ زمن القصة في عهد المهدي قبل توليته الخلافة بأربعة شهور، لاسيما أنها كانت بحضور الشهود... فتمكن اليزيدي من توريط الكسائي والإيقاع به فدفع ذلك المهدي أن يعرّض بالكسائي، ويقول له قولته الشهيرة التي تناقلها الرواة والعلماء.

ولهذا يستوجب إعادة النظر في بعض عبارات هذه القصة؛ محاولة لبيان مدىٰ مصداقيتها، وبيان مواطن الوضع والإقحام في بعض أحداثها. ومن هذه العبارات التي استوقفتنا في المناظرة التي دارت بين اليزيدي والكسائي في مجلس المهدي، أعرضها وفق أصل ورودها في كتاب مجالس العلماء، والأمالي للزجاجي – وأكتفي بذكر القائل والعبارة موضع النقاش – كالآتي:

الكسائي: «أعوذ بالله من شرك يا أبا محمد» هذه العبارة علىٰ لسان الكسائي من المرجح أنّها إقحام في القصة من قبل اليزيدي، أراد من ورائها إظهار خشية الكسائي ومهابته من مناظرته، وإشارة منه إلىٰ قلة رسوخ علمه وعدم تمكنه، وأنه قد أوقع به الهزيمة في سابق الأمر.

اليزيدي: «فلما دخلنا علىٰ المهدي أقبل عليَّ» هذه العبارة – في حال ثبوتها – إشارة إلىٰ المحاباة والحظوة التي كان ينالها اليزيدي، حيث كان يدير هذه المناظرة المهدي ومن آداب تلك المجالس أن يبدأ الخليفة بأكثرهم رسوخًا في علم العربية، فإقباله علىٰ اليزيدي من دون الكسائي يرفع من قدره، ويقر برسوخ علمه، ونرجح أنَّها من إقحام الراوي ليعرب عن أصالة علم اليزيدي وتمكنه، بل ربما تكون فرصة منحت لليزيدي للإيقاع بخصمه، فالمجالس تحكمها كثيرٌ من الآداب التي تلزم المناظرين بها، لا سيما براعة المهدي في إدارتها، فتقديم اليزيدي علىٰ خصمه وهو أعلم بالكسائي ورسوخ علمه، يؤكد علىٰ إقحام هذه العبارة في الرواية.

اليزيدي: «فسمعت الكسائي يقول لعمر بن زوبع» إن القول بأن الكسائي قد أطرق يُسر

الحديث إلىٰ ابن زوبع فيه تهمة له بالخروج عن أدب المناظرة في مجلس الخليفة، وإظهاره بمظهر الضعف، وقلة الحيلة وضعف الحجة، التي لا يقدر معها طلب الإذن من المهدي بالإجابة علىٰ اليزيدي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ كيف باليزيدي يتحقق لديه سماع الكسائي إسرار ابن زوبع من دون سماع غيره له، ويتجرأ علىٰ طلب الإذن للكسائي بالإجابة، فربما تكون تلك الحظوة التي قد نالها هذا الرجل عند المهدي جعلته يدخل كلامه، ويقاطع الحديث ويسترق السمع علىٰ غيره، وقد عهد عن اليزيدي في أكثر المجالس سوء أدب المحاورة، ومن ذلك قول الرشيد له: «والله إنَّ خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحب إلي من صوابك مع قبح أدبك». ويتضح كذلك أنّ المهدي قد دعا الكسائي للمناظرة، ولكنه لم يطلب منه الإجابة علىٰ اليزيدي، والسبب في ذلك هو أن يظهر اليزيدي من خلال هذه العبارة أن المهدي لم يلتفت إليه، وهذا نفسه فيه تقليل مقصود من شأن الكسائي. وعليه نرجح إقحام هذه العبارة من قبل اليزيدي.

اليزيدي: «إنَّ هذا يزعم أنَّك لو سألته أجاب بأحسن من إجابتي» بهذه العبارة يقلل اليزيدي من شأن الكسائي بحضرة المهدي، وذلك باستعمال كلمة «هذا» من دون تسميته باسمه، ولا يفوت القول إن اليزيدي يستحوذ علىٰ جل المجلس بحديثه، ويصور من الكسائي رجلًا لا يقوىٰ علىٰ الحجة، ولا يجرؤ علىٰ الحديث، فهو يسفه الشيخ بمقالته هذه. وأمَّا قوله: «أنك لو سألته» عبارة تتناقض مع دعوة المهدي للكسائي إلىٰ بيته للمناظرة، وقوله: «إنَّ هذا يزعم» حكم مسبق علىٰ رأي الكسائي للإيقاع بالمهدي بجعل مقالته ضربًا من الزعم والخطأ، أسلوب لجأ إليه ليبقي الغلبة في صفه، إمَّا بالتكنية عنه باسم الإشارة، أو بالتقليل من شأن رأيه، أو بتسفيه الشيخ، فالمهدي ليس عالمًا بالنحو ليفصل بين المتخاصمين، ويتأكد ذلك في قوله: «قد اختلفتما وأنتما عالما بلديكما فمن يفصل بينكما» ولهذا فقد كان اليزيدي أكثر دهاء في بسط رأيه للإيقاع بالكسائي، وأن يستحوذ علىٰ اهتمام المهدي وانتباهه، فحظوته عند الخليفة قد أكسبته سلاطة

لسان وحدة قول جعلته يتوهم أنه حقق الغلبة علىٰ خصمه. ونقل أحداث القصة بكل تفصيلاتها وجزئياتها يؤكد علىٰ أن أكثر هذه العبارات مقحمة فيها، فقد كان سرد هذه الأحداث الهامشية مقصودًا لذاته، لتحقيق أهداف خارج المسألة النحوية، وقد بقيت هذه الأحداث تهيمن علىٰ القصة، تتناقلها الأجيال في تاريخها الطويل، حتىٰ صارت محط أنظار الدراسين، من دون الوقوف علىٰ مدىٰ موثوقيتها.

اليزيدي: «فأطرق مفكرًا وأطال» تعد هذه العبارة من ضمن العبارات التي زيدت في القصة، لإظهار حالة الضعف التي وصل إليها الكسائي، وقلة الحيلة، وانعدام الدليل عنده. ويؤكد ذلك بقوله: «لأن يجيب فيخطئ فيتعلم أحسن من هذه الإطالة» فهو يتهمه بالإطالة في الجواب لقلة المعرفة.

المهدي: «يا كسائي ما مر عليك مثل اليوم» ينهي الراوي القصة بهذه العبارة التي تظهر إقرار المهدي وحكمه بتفوق اليزيدي علىٰ الكسائي، ونرجح إقحامها؛ لتعارضها مع قول المهدي: «قد اختلفتما وأنتما عالما بلديكما فمن يفصل بينكما» إذ إنه لم يفصل بين المتخاصمين، والعبارة السابقة بمثابة حكم بين المتخاصمين، لا سيما أن اليزيدي قد ترك الحكم لفصحاء الأعراب المطبوعين.

وتفرد الزجاجي بسند هذه القصة في كتابيه مجالس العلماء والأمالي، من دون العلماء المتقدمين يقود إلىٰ إعادة النظر فيها، لا سيما أنه قد تلقىٰ علمه علىٰ عدد من العلماء وكان علىٰ رأسهم «محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد يحيىٰ بن المبارك اليزيدي» وربما تكون بعض عبارات هذه القصة دخيلة علىٰ الرواية لغاية انتصاف لليزيدي من الكسائي والانحياز له، ولا يفوت القول: إن محدث هذه القصة هو اليزيدي ذاته فهو يروي قصة عن مناظرة نحوية جرت بينه وبين الكسائي، فتفرده بنقل هذا الحدث يرجح ضعف موثوقية هذه القصة.

والمسألة في هذه القصة تتضمن النسب إلىٰ بحرين: يقول ابن يعيش: «أما بحرانيّ فشاذ،

والقياس بحريّ[1]، ويجعل الزمخشري بحرانيًّا منسوبا إلىٰ البحر من المعدول الشاذ دون الحديث عن سبب ذلك الشذوذ[2]، وكذلك ابن السراج[3]، وينقل سيبويه عن أستاذه الخليل أنهم بنوا البحر علىٰ فعلان، والقياس بحريّ، بالنسب إلىٰ المفرد[4].

فالكلمة علم علىٰ بلد، يلتزم في جميع مواضع إعرابها الياء، والشذوذ فيها ليس لأنها علىٰ حد المثنىٰ؛ ولكن لبنائها علىٰ صيغة الرفع بالألف والنون، وعلىٰ هذا يكون النسب القياسي إلىٰ البحرين بحرِينيًّا.

في ختام هذه القصة يمكن القول: إنها قد داخلها كثير من التعديلات والتحريفات في أحداثها؛ لغاية الحط من قيمة الكسائي والتقليل من شأنه.

*** القصة السابعة: «أفلا يزول التوهم[5] إلىٰ يوم القيامة» بين المبرد وثعلب:**

اقتصر ورود هذه القصة في المقتضب للمبرد ومعجم الأدباء وبالنّص نفسه، إذ «حُكي أنَّ بعض الأكابر من بني طاهر سأل أبا العباس ثعلبًا أن يكتب له مصحفا علىٰ مذهب أهل التحقيق، فكتب والضّحىٰ بالياء... فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال :ينبغي أنْ يكتب والضّحا بالألف؛

---

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، (٦/ ١١).

(٢) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، (ص٢٦٤).

(٣) الأصول في النحو، ابن السراج، (٣/ ٨١).

(٤) الكتاب، سيبويه، (٣/ ٣٣٦).

(٥) تنزيل لفظ موجود منزلة لفظ آخر لكونه بمعناه، وهو تنزيلهم اللفظ المعدوم الصالح للوجود بمنزلة الموجود كما في قوله:

بَدا لِيَ أَنّي لَستُ مُدرِكَ ما مَضىٰ ❊ وَلا سابِقٍ شَيئًا إِذا كانَ جائِيا

وقد جعل له شرطا لصحته، وآخر لحسنه، فأما شرط صحته فهو صحة دخول ذلك العامل المتوهَّم. وأما شرط حسنه فهو كثرة دخوله هناك، مغني اللبيب، (٢/ ١٩٠).

لأنه من ذوات الواو، فجمع ابن طاهر بينهما، فقال المبرد لثعلب :لم كتبت والضّحىٰ بالياء؟ فقال: لضمة أوله، فقال له: ولم إذ ضمّ أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء؟ فقال: لأن الضمة تشبه الواو، وما أوله واو يكون آخره ياء، فتوهموا أن أوله واو، فقال المبرد: أفلا يزول هذا التوهم إلىٰ يوم القيامة»[1].

يتبين من خلال هذه القصة أنَّ الخصومة كانت قد أخذت مأخذها بين ثعلب والمبرد، فأدىٰ ذلك بالشعراء إلىٰ نظم الشعر في خصومتهما، فأضحت مثلًا بين العرب. وقد وقف السيرافي علىٰ هذه الخصومة مبينًا ما كان بين المبرد وثعلب من الخلاف ما لا خفاء به، وأكثر أهل التحصيل يستشهدون بعداوتهما نظمًا وشعرًا، ومن ذلك قول الشاعر:

فأبـــدانُنا في بلـــدةٍ والتقاؤُنـــا * عـــسيرٌ كأنَّـــا ثعلـــبٌ والمـــبرِّدُ[2]

وتبين القصة الزلات التي انزلق فيها ثعلب، ومنها الزلة في تحديد أصل الألف وطريقة كتابتها. ومجالس العلماء للزجاجي يكشف في مواضع كثيرة من المناظرات عن مدىٰ التباين بين حصافة المبرد وتمكنه ورسوخ علمه، واضطراب ثعلب في القياس والنقل. وبعد البحث عن هذه القصة التي ينسبها الحموي إلىٰ أحمد بن يحيىٰ ثعلب، لم نعثر عليها في مجالسه. ومعظم المصادر التي وجدت فيها هذه القصة بعيدة الزمن عن تاريخ حدوثها، ومن الملفت كذلك أنَّ معظم المصادر اختلفت في توثيق هذه القصة من مصنف إلىٰ آخر. ومن خلال الوقوف علىٰ عبارات هذه القصة يمكن الخروج بالاستدلالات الآتية:

- «حكي أنَّ بعض الأكابر من بني طاهر» اعتمد الحموي في نقل القصة علىٰ ألفاظ الجهالة كلفظ «حكي» ففيه إشارة إلىٰ أنه لم يقع علىٰ سند لهذا الخبر، والاعتماد علىٰ هذا اللفظ

(١) المقتضب، المبرد، (١/ ٣٠)، معجم الأدباء، (٦/ ٦٨٢).

(٢) معجم الأدباء، (٦/ ٦٨٠).

يضعِّف من موثوقية القصة، وكذلك الجهالة في ذكر صاحب المسألة الذي طلب مصحفًا علىٰ طريقة أهل التحقيق.

- «أن يكتب مصحفًا علىٰ مذهب أهل التحقيق» تكشف هذه العبارة عن رغبة بعض أكابر بني طاهر بأن يكتب ثعلب مصحفًا علىٰ طريقة أهل التحقيق، فهذا العمل تنتابه الوعورة والمشقة، فكيف يتحقق هذا المطلب الجلل لشخص مجهول النسبة من أكابر بني طاهر، وهذا يجعلنا نشك في وضع هذه القصة بجملتها.
- «فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال: ينبغي أنْ يكتب والضّحا بالألف» لم تؤرخ القصة للزمن الذي كتب فيه هذا المصحف، وإن تهيأ للمبرد الاطلاع عليه وقراءته فقد وردت مواضع كثيرة علىٰ صورة «والضحىٰ» لم يقف عندها، وكتابة المصحف علىٰ هذا المذهب ليست أمرًا يسيرًا حتىٰ استتمه وأحكمه ليقرأه المبرد، ناهيك عن أن المصادر العربية لم تشر من قريب أو بعيد لذلك المصحف الذي خطه أبو العباس أحمد يحيىٰ ثعلب لبعض أكابر بني طاهر.
- «أفلا يزول التوهم إلىٰ يوم القيامة» تبين هذه العبارة عن حجة التوهم في التعليل النحوي، وهو ما يؤكد وضعها، بل وعدم ثبوت القصة، ونسبة التعليل إلىٰ أبي العباس ثعلب؛ إنما هو لتخطئة الخصم، والحط من منزلته، والتشكيك في رسوخ علمه، ولا يفوت القول إنّ علة التوهم قد تشاكلت مع رسم كلمة في القرآن الكريم؛ لإثارة السخط علىٰ الآخر.

وأما الوجه النحوي في المناظرة فهو عن كيفية كتابة الألف اللينة في الثلاثي، والقاعدة هنا أن ينظر إلىٰ أصل هذه الألف؛ فإن كان أصلها واوًا رسمت بالألف، وإن كان ياءً رسمت علىٰ صورة الياء، و(الضحىٰ) من الضحوة، فالقياس أن تكتب: (الضحا)، وهذا مذهب البصريين، بينما يرىٰ الكوفيون كتابتها علىٰ صورة الياء لأنها مضمومة الأول، ولما فيها من الإمالة[1].

(١) ينظر: شرح مقصورة ابن دريد، الجواليقي، (ص١٥٩)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، (١١/ ٣٦).

*** القصة الثامنة: «طلب كتاب في النحو» بين الخليل والرؤاسي:**

تعد هذه القصة من أهم القصص التي تستحق أن نتناولها بالوقوف علىٰ مفاصلها، وهي قصة رغبة الخليل في اطلاعه علىٰ كتاب الرؤاسي الذي ألفه في النحو وطلبه منه، وعند تتبع هذه القصة في المصادر العربية نجدها مثبتة بشكل صريح في بعضها، وبعضها الآخر قد تناولتها بالإشارة إليها. ومن أهم المصادر وأولها التي أثبتتها بكل حيثياتها الفهرست لابن النديم، حيث نقلها بسند مرسل عن الرؤاسي، ثم نقلها أبو البركات الأنباري بلفظ الحكاية علىٰ المبني للمجهول، ثم نقلها السيوطي في بغية الوعاة مرفوعة إلىٰ المبرد. وفيما يأتي نقل لهذه الروايات بأسانيدها ومتونها موثقة من مصادرها.

١ - الرواية في الفهرست لابن النديم: «وقال الرؤاسي: بعث إليَّ الخليل بطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه ووضع كتابه، وفي كتاب سيبويه قال الكوفي يعني الرؤاسي قال ابن درستويه زعم ثعلب أن أول من وضع من النحويين الكوفيين في النحو كتاب الرؤاسي، وتوفي وله من الكتب كتاب الفيصل»[(١)].

٢ - الرواية في نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري: «وكان الرؤاسي رجلاً صالحًا؛ ويحكىٰ عنه، أنه قال: أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي، فبعثت به إليه، فقرأه ووضع كتابه»[(٢)].

٣- الرواية في بغية الوعاة: «وَقَالَ الْمبرد: مَا عُرف الرُّؤَاسِي بِالْبَصْرَةِ. وَقد زعم بعض النَّاس أَنه صنف كتابًا فِي النَّحْو، فَدخل الْبَصْرَة ليعرضه علىٰ أَصْحَابنَا، فَلم يلْتَفت إِلَيْهِ، وَلم يَجْسُر علىٰ إِظْهَاره لما سمع كَلَامهم»[(٣)].

(١) الفهرست، ابن النديم، (ص٨٩).

(٢) نزهة الألباء، (ص٥١).

(٣) بغية الوعاة، (١/ ٨٣).

وعند المقابلة بين هذه الروايات يتبين التوافق في جوهر فكرتها؛ ومفادها وجود كتاب في النحو قبل الخليل من وضع الرؤاسي، إذ إنَّ مُعاصَرة الرؤاسي (١٨٧هـ) للخليل (١٧٠هـ) زمن الرشيد قد دللت عليها أكثر المصادر اللغوية وكتب التراجم بالحجة والرواية، ويصرح القفطي في إنباه الرواة أنَّ الرؤاسي أقام بالبصرة، ولم يمكث بالكوفة إلا قليلًا، وعاش إلىٰ زمن الرشيد[1]. وأن ثمة تواصلًا كان بين الرؤاسي والخليل، وثبت له تأليف كتاب الفيصل، ذكر أنه بقي يدرس إلىٰ سنة ٣٧٧هـ.

*** القصة التاسعة: «تنكُّر التلميذ لشيخه» بين الكسائي والرؤاسي:**

من القصص المهمة التي تنقلها لنا المصادر اللغوية قصة تلمذة الكسائي والفراء علىٰ يد الرؤاسي، وتغير موقف الكسائي من شيخه يشير إلىٰ أن الكسائي بدأ يتطلع إلىٰ صياغة فكرة المدرسة النحوية علىٰ غرار الأفكار التي تقدمها مدرسة البصرة، أذكىٰ عنده الميل إلىٰ التنافس، وقاده إلىٰ أن يقف معارضًا، بل ومناظرًا لشيخه في بعض المواقف، وأن ينقلب علىٰ شيخه رغبة في سيادة مدرسة نحوية أخذت أوجهها تظهر وتتشكل.

ومن أشهر الروايات التي يتأكد فيها نقل القصة كاملة مرفوعة إلىٰ أحمد بن يحيىٰ ثعلب، ما أورده ابن النديم في الفهرست، وياقوت الحموي في معجمه: «قال أحمد بن يحيىٰ ثعلب: كان الرؤاسيّ أستاذ علي بن حمزة الكسائي والفراء، قال الفراء: فلما خرج الكسائي إلىٰ بغداد قال لي الرؤاسي: قد خرج الكسائي وأنت أسنّ منه، فجئت إلىٰ بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي، فغمزت عليه قومًا كوفيين كانوا معي، فرآني فقال لي: مالك قد أنكرت، لعلك من أهل الكوفة؟ قلت: نعم. قال الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صوابًا، وسمعت العرب تقول كذا وكذا حتىٰ أتىٰ علىٰ مسائلي فلزمته»[2] من خلال استعراض هذه القصة

(١) إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة، القفطي، (٤/ ١٠٨).

(٢) الفهرست، ابن النديم، (ص٨٩)، معجم الأدباء، (٦/ ٤٨٦).

نخرج بمجموعة من الاستدلالات:

تكشف هذه القصة عن أن الإشارات الأولىٰ للخلافات النحوية كانت مع الرؤاسي، إذ إنَّه إمام مدرسة الكوفة، وعنه تلقىٰ الكسائي والفراء الفكر النحوي الكوفي، ثم أخذ الخرق بالاتساع بين الرؤاسي والكسائي، ويزداد عند لحاق الفراء بالكسائي إلىٰ بغداد، فجالسه ولازمه وتلقىٰ علمه عنه حتىٰ صار شيخًا له يلقنه النحو، ويدارسه معه، ويذكر أبو العباس أن «الكوفي» الذي يخبر به سيبويه ويذكره في كتابه، يُقصَد به أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي، قال: «وكل ما في كتاب سيبويه وقال الكوفي كذا، فإنما يعني الرؤاسي»[1].

إن حث الرؤاسي للفراء للحاق بالكسائي إنما هو تتبع وتأثر فكري بالكسائي الذي أخذ أمره يبلج، وتتناقل آراؤه، وذلك لمطاردته وإيقاع الهزيمة به في مجالس الخلفاء والولاة، لغاية إضعافه وتسفيه آرائه؛ حتىٰ ينطمس ذكره وتزول سمعته، وكانت أكثر المناظرات التي قامت بينهما تنتهي بإقرار الفراء بغلبة الكسائي، وفضله، وكان هذا دافعًا له في أن يصير إلىٰ المدرسة الكوفية، ليتقلد من بعده رئاستها.

نلاحظ كذلك أن باكورة الخلاف النحوي تظهر بأن الخلاف في هذه المرحلة لا يتجاوز اللطائف من المحاورات والمناظرات، التي لم تبلغ حد النزاع والتخاصم والتعصب، كما يثبت من خلال هذه القصة وجود تواصل بين الخليل وأبي جعفر الرؤاسي من جانب، ويؤكد الفراء دخول الرؤاسي إلىٰ البصرة مرتين، ويؤكد دخوله كذلك المبرد كما ذكرنا سابقًا، ومن جانب آخر وجود مؤلف نحوي قبل الخليل هو كتاب الفيصل، ينسبه المؤرخون والنحويون إلىٰ الرؤاسي.

أما التلمذة فتظهر جلية من خلال التأريخ للخلاف النحوي، فالفراء والكسائي تلميذا

(١) معجم الأدباء، (٦/ ٤٨٦).

الرؤاسي، نهلا من علمه ونقلاه إلىٰ البصرة فيما بعد، كما تظهر المجافاة التي حصلت بين التلميذ وشيخه، فذهاب الكسائي إلىٰ البصرة وتتبع الفراء له يؤكد عقوق الكسائي لشيخه أبي جعفر الرؤاسي، وتبين منازعة الكسائي له في رئاسة مدرسة فكرية أو منحىٰ نحوي أوشك علىٰ الانكشاف.

أما التأريخ للمكان والزمان من خلال هذه القصة: فالبصرة والكوفة في زمن الرشيد تشكلان القلب والبؤرة للفكر النحوي، وقد كانتا في مرحلة لاحقة أساس انطلاقة الخلاف النحوي، فتلاقىٰ في هذه المرحلة طبقتان من النحاة: الطبقة الثالثة البصرية ويمثلها الخليل بن أحمد الفراهيدي، والطبقة الأولىٰ من الكوفيين، ويمثلها أبو جعفر الرؤاسي.

ويرجح مهدي المخزومي أن التنافس بين نحاة البصرة والكوفة إلىٰ نهاية هذه المرحلة لم يكن موجودًا، فيقول: «غير أننا نرجح أن التنافس بين نحاة البصرة والكوفة لا وجود له في عهد الخليل وأبي جعفر، فلم يكن أبو جعفر إلا بصريًا»[1]، ولا نتفق معه في رأيه السابق، فأبو جعفر كان كوفيًا، ولو كان بصريًا لوجدنا ذكره في كتاب سيبويه.

***

(١) مدرسة الكوفة في النحو، مهدي المخزومي، (ص٧١).

خاتمة وتوصيات

في ختام هذا الدراسة يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها في مجموعة من النقاط أهمها:

- تزامن نشوء أغلب الطرائف النحوية مع نشأة النحو، بل إنَّ بعضها كان سببًا من أسباب وضعه، وذلك لتبسيطه بالطرفة والفكاهة وجعله محببًا لنظرة الصعوبة التي غلبت عليه، وهذا يؤكد وضع هذه الطرائف، والتخفيف من ثقل النحو علىٰ الأفهام وجفوته، وتقربًا للولاة.
- قد يكون وضع بعض القصص من قبل النحاة لحيازة الخصم في السبق إلىٰ التقعيد، فهي أثر من آثار الخلاف بين المدرستين، ونتيجة الانتصاف الدائر بينهما. وربما تكون من اختلاق الرواة لغاية الانتصاف من الآخر، أو من هي وضع المتعلمين، ولهذا علق بعضها برواة مجهولي النسبة، والاعتماد علىٰ ألفاظ الجهالة في نقل القصة.
- بعض روايات هذه القصص علىٰ درجة عالية من الموثوقية وذلك لتوفر شرط المعاصرة والتحديث.
- تكشف بعض المناظرات عن الأهداف التي تروم إليها كالإيقاع بالخصوم، من خلال استعمال الألغاز النحوية، أو صرف النظر عن حقيقة المسألة النحوية إلىٰ أحداث هامشية. أو باتباع أساليب التورية، لغاية الوصول إلىٰ إقرار الخليفة بغلبة أحد المناظرين وانتصاره علىٰ الآخر.
- إن تعقب هذه القصص يقود إلىٰ إعادة النظر في بعضها؛ فقد تكون ضربًا من الافتعال والتلفيق، ويتضح ذلك في قصة «أفلا يزول هذا التوهم إلىٰ يوم القيامة» بين المبرد وثعلب، وقصة «ما مر بك مثل اليوم يا كسائي»، وقصة «العقرب أشد لسعة من الزنبور» بين سيبويه والكسائي.
- يرجح أن يكون الغرض من إقحام بعض العبارات في القصص هو إظهار خشية الخصم

من مناظريه، وإشارة إلىٰ قلة رسوخ علمه وتمكنه.

- إنَّ باكورة الخلاف النحوي تظهر أنَّ الخلاف في هذه المرحلة لم يتجاوز اللطائف من المحاورات والمناظرات، وبعض النحويين كان يتطلع إلىٰ صياغة مدرسة فكرية نحوية، مما أذكىٰ الميل إلىٰ التنافس. ووصل الخلاف بين النحويين إلىٰ حد الانتقاص من الآخر واتهامه بالاحتجاج بالتوهم في بيان العلة.
- إنَّ القصص التي تضمنت المسائل اللغوية لم يكن لها أثر في إزاحتها عن معياريتها.
- ما ورد في بعض القصص من مواضع إنما هو من اللحن الذي قد يكون السائل غفل عنه، ومن خلالها يتضح مدىٰ تأثير (اللحن) في كلام الناس.

وتخلص هذه الدراسة إلىٰ مجموعة من التوصيات للباحثين والدارسين تتمثل في: إعادة دراسة القصص اللغوية من خلال مناهج التأريخ اللغوي، والوقوف علىٰ مدىٰ موثوقية قصص المناظرات والمجالس النحوية بين البصريين والكوفيين، وتحري الدقة في دراسة المسائل الخلافية، ونسبة الآراء إلىٰ أصحابها، وتوسيع دائرة العمل في ضبط مصداقية المناظرات والمجالس النحوية، والانتقال من العمل الفردي إلىٰ العمل المؤسسي.

***

قائمة المصادر والمراجع

- **أدبنا الضاحك.** العطري، عبد الغني، ط٢، دمشق: دار البشائر، ١٤١٢هـ.
- **أسرار العربية.** الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٥٧٧هـ)، ط١، بيروت – لبنان: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٩٩٩م.
- **الأصول في النحو.** ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري، (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، د.ط، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، د.ت.
- **الأضداد.** الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، بيروت – لبنان: المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.
- **الأعلام.** الزركلي، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ)، ط١٥، بيروت – لبنان: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- **أمالي ابن الشجري.** ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله، (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩١م.
- **الأمالي.** الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، بيروت – لبنان: دار الجيل، ١٩٨٧م.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة.** القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي، (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٢م.
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين.** ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، ط١، بيروت – لبنان: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣م.
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.** ابن هشام، جمال الدين أبو محمد، عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، د.ط، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- **البحر المحيط في التفسير.** أبو حيان، محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

- **البصائر والذخائر.** التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: وداد القاضي، ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٨٨م.
- **البيان والتبيين.** الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت: ٢٥٥هـ)، د.ط، بيروت – لبنان: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.** السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، صيدا – لبنان: المكتبة العصرية، د.ت.
- **تاج العروس من جواهر القاموس.** الزبيدي، مرتضىٰ، محمّد بن محمّد، (ت: ١٢٠٥هـ)، د.ط، الكويت: دار الهداية، د.ت.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م.
- **تاريخ دمشق.** ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، د.ط، بيروت – لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.
- **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل.** أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت: ٧٤٥هـ) تحقيق: حسن هنداوي، ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا، ٢٠١٣م.
- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك.** المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط١، القاهرة – مصر: دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م.
- **جمع الجواهر في الملح والنوادر.** الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي، (ت: ٤٥٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، بيروت – لبنان: دار الجيل، ١٩٥٣م.
- **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي.** الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد، (ت: ١٠٦٩هـ)، د.ط، بيروت: دار صادر، ١٨٦٦م.
- **حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني.** الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت: ١٢٠٦هـ)، ط١، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

- **حياة الحيوان الكبرىٰ.** الدميري، أبو البقاء، محمد بن موسىٰ، (ت: ٨٠٨هـ)، ط٢، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.** البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م.
- **الخصائص.** ابن جني، أبو الفتح، عثمان (ت: ٣٩٢هـ)، ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- **دراسات في النحو العربي.** أبو كنة، محمد، ط٢، عمان: مطبعة الإسراء، ١٩٩٥م.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.** السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، د.ط، دمشق: دار القلم، د.ت.
- **ديوان الراعي النميري.** الراعي النميري، عبيد بن حصين بن معاوية، شرح: واضح الصمد، ط١، بيروت – لبنان: دار الجيل، ١٩٩٥م.
- **سر صناعة الإعراب.** ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ)، ط١، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
- **سير أعلام النبلاء.** الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- **شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك.** ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠م.
- **شرح التسهيل المسمىٰ «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد».** ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، (ت: ٧٧٨ هـ)، تحقيق: علي محمد فاخر، ط١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٨هـ.
- **شرح درة الغواص في أوهام الخواص.** الشهاب الخفاجي، أحمد بن محمد (ت: ١٠٦٩هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي، ط١، بيروت – لبنان: دار الجيل، ١٩٩٦م.

- **شرح ديوان أمية بن أبي الصلت.** ابن أبي الصلت، أمية، تحقيق: سيف الدين الكاتب، د.ط، بيروت – لبنان: دار مكتبة الحياة، د.ت.
- **شرح كتاب سيبويه.** السيرافي، أبو سعيد، الحسن بن عبد الله، (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، ط١، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.
- **شرح المفصل.** ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، د.ط، بيروت – لبنان: عالم الكتب، د.ت.
- **شرح مقصورة ابن دريد.** الجواليقي، أبو منصور، موهوب بن أحمد، تحقيق: حاتم الضامن، عبدالمنعم التكريتي، د.ط، بغداد: مكتبة لسان العرب، د.ت.
- **شعب الإيمان.** البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
- **شعر الخوارج.** عباس، إحسان (ت: ١٤٢٤هـ)، ط٣، بيروت – لبنان: دار الثقافة، ١٩٧٤م.
- **ضحىٰ الإسلام.** أمين، أحمد، ط١٠، بيروت – لبنان: دار الكتاب، ١٩٣٤م.
- **طبقات الشافعية الكبرىٰ.** السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، الدمام – السعودية: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ.
- **طبقات النحويين واللغويين.** الزبيدي، حمد بن الحسن بن عبيد الله (ت: ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة – مصر: دار المعارف، د.ت.
- **الطرائف اللغوية.** الوهيبي، صالح بن سلمان، دارة الملك عبد العزيز، مج ٢٠، ع ٣، ١٩٩٤م.
- **العقد الفريد.** ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: ٣٢٨هـ)، ط١، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ.
- **عيون الأخبار.** الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، د.ط، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- **غرر الفوائد ودرر القلائد.** الشريف المرتضي، علي بن الحسين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي علىٰ الكشاف).** الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: ٧٤٣ هـ)، تحقيق: إياد محمد الغوج، دراسة: د. جميل بني عطا، ط١، د.م: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣م.
- **فن الأحاجي والألغاز في التراث العربي.** النَّجار، محمد رجب، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٢٠، المجلد الخامس، جامعة الكويت.
- **الفهرست.** ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن إسحاق (ت: ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت – لبنان: دار المعرفة، ١٩٩٧م.
- **الكتاب.** سيبويه، عمرو بن عثمان (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م.
- **الكتاب.** سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، د.ط، بيروت – لبنان: عالم الكتب، د.ت.
- **كتاب الفنون.** ابن عقيل، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد، تحقيق: جورج المقدسي، د.ط، بيروت – لبنان: دار المشرق، ١٩٧٠م.
- **لسان العرب.** ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، ط١، بيروت – لبنان: دار صادر، د.ت.
- **اللغة بين المعيارية والوصفية.** حسان، تمام، ط٤، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م.
- **مجالس العلماء.** الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي؛ الرياض: دار الرفاعي، ١٩٨٣م.
- **مدرسة الكوفة في النحو.** المخزومي، مهدي، ط٢، مصر: مطبعة مصطفىٰ البابي، ١٩٥٨م.
- **مروج الذهب.** المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، د.م: د.ن، د.ت.
- **المزهر في علوم اللغة.** السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي، د.ط، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- **معاني القرآن وإعرابه.** الزجاج، إبراهيم بن السري (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت – لبنان: عالم الكتب، ١٩٨٨م.

- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب).** ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، بيروت – لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- **معجم العين.** الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، د.ط، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.** ابن هشام، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.
- **المفصل في صنعة الإعراب.** الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، قدم له وبوبه: الدكتور علي ملحم، د.ط، بيروت – لبنان: دار الهلال، ٢٠٠٣م.
- **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك).** الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسىٰ (ت: ٧٩٠ هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، ط١، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرىٰ، ٢٠٠٧ م.
- **المقتضب.** المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، د.ط، بيروت – لبنان: عالم الكتب، د.ت.
- **مناهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث.** زوين، علي، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت.
- **النحو العربي والدرس الحديث.** الراجحي، عبده، د.ط، بيروت – لبنان: دار النهضة العربية، ١٩٧٩م.
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء.** الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣، الزرقاء – الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م.
- **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة.** الطنطاوي، محمد، تحقيق: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، ط١، د.م: مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ٢٠٠٥م.
- **النشر في القراءات العشر.** ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد (ت: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، د.ط، مصر: المطبعة التجارية الكبرىٰ، د.ت.

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.** ابن خلكان، أبو العباس أحمد (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، بيروت – لبنان: دار صادر، د.ت.

***

Bibliography

- Al-Ain Lexicon, Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed, (died 170 AH), investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai.
- Al-Alam, Al-Zarkali, Khair Al-Din bin Mahmoud (d. 1396 AH), 15th edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut - Lebanon, 2002 AD.
- The Art of Riddles in the Arab Heritage, Al-Najjar, Muhammad Rajab, The Arab Journal for the Humanities, No. 20, Volume Five, Kuwait University.
- Amali Ibn Al-Shjari, Ibn Al-Shjari, Dia Al-Din Abu Al-Saadat Hebat Allah, (deceased: 542 AH), investigation: Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, 1st edition, Al-Khanji Library, Cairo, 1991 AD.
- Al-Amali, Al-Zajji, Abu Al-Qasim, Abdul Rahman bin Ishaq (died: 337 AH)، investigation: Abdul Salam Haroun, 1st edition, Dar Al-Jeel - Beirut, 1987 AD.
- Appendix and Supplementation in the Explanation of the Book of Facilitation, Abu Hayyan, Muhammad bin Youssef, (d. 745 AH), achieved by: Hassan Hindawi, 1st edition, Dar Kunouz of Seville - Riyadh, 2013 AD.
- Arabic Grammar and Modern Lesson, Al-Rajhi, Abdo, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut - Lebanon, (d. i) 1979.
- Asrar Al-Arabiya, Al-Anbari, Abu Al-Barakat, Abdul Rahman bin Muhammad (died 577 AH)، i 1, Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, 1999 AD.
- Attention to the narrators on the attention of the grammarians, Al-Qafti, Jamal Al-Din Abu Al-Hassan Ali, (d. 646 AH), investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, i. 1, Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo, and the Cultural Books Foundation - Beirut, 1982 AD.
- Al-Bahr Al-Mohet fi Tafsir, Abu Hayyan, Muhammad bin Youssef (d. 745 AH), investigation: Sidqi Muhammad Jamil, (d.), Dar Al-Fikr - Beirut, 1420 AH.
- Al-Bayan wa Al-Tabeen, Al-Jahiz, Amr Ibn Bahr, (d. 255 AH), (d. i), Al-Hilal House and Library, Beirut - Lebanon, 1423 AH.
- Biography of the Flags of the Nobles, Al-Dhahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad Bin Ahmed, (died 748 AH), investigation: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout, 3rd edition, Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon, 1985 AD.
- Book of Arts, Ibn Aqil, Abu Al-Wafa, Ali bin Aqeel bin Muhammad, investigation: George Al-Maqdisi, (d. I), Dar Al-Mashreq, Beirut - 1970 AD.
- The book, Sibawayh, Amr bin Othman (d. 180 AH), investigation: Abdel Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, 3rd edition, Cairo, 1988 AD.
- Characteristics, Ibn Jinni, Abu Al-Fath, Othman (deceased: 392 AH), 4th edition, General Egyptian Book Organization, (d. T.).
- Clarifying the purposes and paths with the explanation of Alfiya Ibn Malik, Al-Muradi, Abu Muhammad Badr Al-Din Hassan bin Qasim (died: 749 AH), investigation: Abdul Rahman Ali Suleiman, 1st edition, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo - Egypt, 2008 AD.

- Collecting Jewels in Salt and Anecdotes, Lahsari, Abu Ishaq, Ibrahim bin Ali, (d. 453 AH), investigation: Ali Muhammad Al-Bajawi, 2nd edition, Dar Al-Jeel - Beirut, 1953.
- The crown of the bride from the jewels of the dictionary, Al-Zubaidi, Murtada, Muhammad bin Muhammad, (d. 1205 AH), Dar Al-Hedaya.
- Deaths of Notables and the News of the Sons of Time, Ibn Khalkan, Abu Al-Abbas Ahmad (d. 681 AH), investigation: Ihsan Abbas, (d.), Dar Sader, Beirut - Lebanon, (d. T.)
- Dictionary of Writers (Guiding the Arab to the Knowledge of the Writer), Yaqout Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Abdullah, (d. 626 AH), investigation: Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, I 1, 1993 AD.
- Diwan of Al-Ra'i Al-Numeiri, Al-Ra'i Al-Numeiri, Obaid bin Husayn bin Muawiyah, Explanation: Wadeh Al-Samad, Edition 1, Dar Al-Jeel _ Beirut, 1995.
- Duha al-Islam, Amin, Ahmad, Dar al-Kitab, Beirut - Lebanon, 10th edition, 1934.
- Al-Durr Al-Masoon fi Al-Kitab Al-Kitun Al-Kitun, Al-Samin Al-Halabi, Abu Al-Abbas, Shihab Al-Din, Ahmed bin Youssef, (d. 756 AH), investigation: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, (d.), Dar Al-Qalam, Damascus, (d. T.(.
- The emergence of grammar and the history of the most famous grammarians, Al-Tantawi, Muhammad, achieved by: Abu Muhammad Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Isma`il, 1st Edition, The Revival of Islamic Heritage Library, 2005AD.
- Equity in issues of disagreement between the grammarians: Basri and the Kufic, Ibn al-Anbari, Abd al-Rahman bin Muhammad, 1st Edition, Al-Mataba al-Asriyya, Beirut - Lebanon, 2003 AD.
- Explanation of Dora Al-Ghawas fi Awham Al-Khawas, Shihab Al-Khafaji, Ahmed bin Muhammad, (1069 AH), investigation: Abdel Hafeez Farghali, 1st edition, Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, 1996.
- Explanation of Ibn Aqil on the Alfiya of Ibn Malik, Ibn Aqeel, Abdullah Ibn Abd al-Rahman (deceased: 769 AH), investigation: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, 20th edition, Dar al-Turath - Cairo, 1980 AD.
- Explanation of Sibawayh's book, Al Serafi, Abu Saeed, Al Hassan bin Abdullah, (deceased: 368 AH), investigation: Ahmed Hassan Mahdali, Ali Sayed Ali, Edition 1, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2008 AD.
- Explanation of the cabin of Ibn Duraid, Al-Jawaliqi, Abu Mansour, Mawhib bin Ahmed, investigation: Hatim Al-Dameen, Abdel Moneim Al-Tikriti, (d. I), Lisan Al-Arab Library, (d. T).
- Explanation of the Diwan of Umayyah bin Abi Salt, Ibn Abi Salt, Umayyah, investigation: Saif Al-Din Al-Katib, (d.), Dar Al-Hayat Library, Beirut, (d. T).
- Explanation of the facilitation called "Paving the rules with an explanation of facilitating the benefits" , the overseer of the army, Muhammad bin Youssef bin Ahmed, (d. 778 AH), investigation: Ali Muhammad Fakher, i. 1 - Dar al-Salaam for Printing and Publishing, Cairo - Arab Republic of Egypt, 1428 AH.

- Explain the paths to Alfiya Ibn Malik, Ibn Hisham, Jamal al-Din Abu Muhammad, Abdullah Ibn Yusuf (d. 761 AH)، investigation: Youssef Sheikh Muhammad al-Baq'i, (d. i), Dar al-Fikr for printing, publishing and distribution, (d. t).
- Al-Fihrist, Ibn Al-Nadim, Abu Al-Faraj, Muhammad bin Ishaq, (d. 438 AH), investigation: Ibrahim Ramadan, Dar Al-Marefa, 2nd edition, Beirut - Lebanon, 1997 AD.
- Fotouh al-Ghayb in Uncovering the Mask of Doubt (A footnote to al-Tibi on the Scout), al-Tibi, Sharaf al-Din al-Hussein bin Abdullah (d. 743 AH), investigation: Iyad Muhammad al-Ghouj, study: Dr. Jamil Bani Atta, 1st Edition, Publisher: Dubai International Holy Quran Award, 2013 AD.
- Gharar benefits and pearls of necklaces, Al-Sharif Al-Murtada, Ali bin Al-Hussein, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut 1967 AD, 2nd ed.
- History of Damascus, Ibn Asaker, Abu al-Qasim, Ali Ibn al-Hasan (d. 571 AH), investigation: Amr Ibn Gharamah al-Amrawi, (d. i), Dar al-Fikr for printing, publishing and distribution, Beirut - Lebanon, 1995 AD.
- The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Flags, Al-Dhahabi, Shams Al-Din, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed (d. 748 AH), investigation: Omar Abdel Salam Al-Tadmari, 3rd edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 1993 AD.
- Hayat al-Hayyat al-Kubra, al-Damiri, Abu al-Baqa, Muhammad ibn Musa, (died: 808 AH) , 2nd edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1424 AH.
- The Healing Purposes in Explaining the Sufficient Summary (Explanation of Alfiya Ibn Malik), Al-Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim bin Musa (died 790 AH), investigation: Dr. Abdul Majeed Qatamish, 1st floor, Institute of Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University - Makkah Al-Mukarramah, 2007 AD.
- Insights and Ammunition, Al-Tawhidi, Abu Hayyan, Ali bin Muhammad bin Al-Abbas (d. about 400 AH), investigation: Wedad Al-Qadi, 1st edition, Dar Sader - Beirut, 1988 AD.
- Kufa School of Grammar, Makhzoumi, Mahdi, 2nd Edition, Mustafa Al-Babi Press, Egypt, 1958.
- Language between normative and descriptive, Hassan, Tammam, World of Books, Cairo, 4th edition, 2000 AD.
- Layers of Grammar and Linguists, Al-Zubaidi, Hamad bin Al-Hassan bin Obaid Allah, (deceased: 379 AH), investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 2nd edition, Dar Al-Maaref, Cairo – Egypt.
- Linguistic Research Methods between Heritage and Modern Linguistics, Zwain, Ali, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1st Edition, (d. T.).
- Linguistic Anecdotes, King Abdulaziz House, Al-Wahaibi, Saleh bin Salman, Volume 20, Volume 3, 1994 AD.
- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Jamal al-Din al-Ansari, Dar Sader – Beirut.
- Majalis al-Ulama, Abu al-Qasim, Abd al-Rahman ibn Ishaq (d. 337 AH), Al-Zajji, investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, 2nd edition, Al-Khanji Library - Cairo, Dar Al-Rifai in Riyadh, 1983.

- Meanings and Syntax of the Qur'an, Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sirri, (deceased: 311 AH), investigation: Abdel-Jalil Abdo Shalaby, 1st edition, World of Books - Beirut, 1988 AD.
- Al-Mizhar fi Language Sciences, Al-Suyuti, Jalal Al-Din, Abdul Rahman bin Abi Bakr, (d. 911 AH), investigation: Fouad Ali, (d. i), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1998 AD.
- Mughni Al-Labib on the books of the Arabs, Ibn Hisham, Abu Muhammad, Jamal Al-Din (d. 761 AH), investigation: Mazen Al-Mubarak / Muhammad Ali Hamdallah, 6th edition, Dar Al-Fikr - Damascus, 1985 AD.
- Al-Muqtadib, Al-Mubarrad, Abu Al-Abbas, Muhammad bin Yazid (d. 285 AH), investigative: Muhammad Abdul-Khaleq Azimah, (d.), The World of Books - Beirut, (d. T).
- Nuzha al-Abaa fi Tabaqat al-Alibaba, al-Anbari, Abu al-Barakat, Abd al-Rahman bin Muhammad (d. 577 AH), investigation: Ibrahim al-Samarrai, 3rd edition, Al-Manar Library, Zarqa - Jordan, 1985 AD.
- Opposites, Al-Anbari, Abu Bakr, Muhammad bin Al-Qasim (d. 328 AH), investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (d. i) Al-Mataba al-Asriyya, Beirut - Lebanon, 1987 AD.
- Origins in Grammar, Ibn Al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad Bin Al-Sari, (d. 316 AH)، investigation: Abdul-Hussein Al-Fatli, (d. i) Al-Resala Foundation, Lebanon - Beirut, (d. T).
- Oyoun Al-Akhbar, Al-Dinuri, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaiba (d. 276 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1418 AH.
- Our Laughing Literature, Al-Otari, Abdul Ghani, Damascus, Dura Labshaer, 2nd Edition, 1412 A.H.
- The People of Faith, Al-Bayhaqi, Abu Bakr, Ahmed bin Al-Hussein, (458 AH), investigation: Abu Hajar Muhammad Al-Saeed bin Bassiouni Zaghloul, 1, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2000 AD.
- Promoter of Gold, Al-Masoudi, Abu Al-Hasan Ali Bin Al-Hassan, Investigation: Muhammad Muhyi Al-Din Habid Al-Hamid, 1st Edition, (Dr. T.).
- Pursuing the Consciousness in the Layers of Linguists and Grammarians, Al-Suyuti, Jalal Al-Din, Abdul Rahman bin Abi Bakr, (d. 911 AH)، investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (d.)، Al-Asriya Library - Lebanon - Sidon (d. T)
- Poetry of the Kharijites, Abbas, Ihsan (d. 1424 AH), 3rd Edition, House of Culture, Beirut - Lebanon, 1974 AD.
- Publication in the Ten Readings, Ibn al-Jazari, Shams al-Din, Muhammad ibn Muhammad (deceased: 833 AH), investigative by: Ali Muhammad al-Daba`, (d.), the major commercial printing press.
- The Rise of Arabic Grammar, Al-Tantawi, Muhammad, Dar Al-Maaref - Cairo, 4th Edition, 1973.
- Al-Sabban's Note to Sharh Al-Ashmouni, Al-Sabban, Abu Al-Irfan Muhammad bin Ali (d. 1206 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 1, 1997 AD.

- The Secret of the Syntax of Syntax, Ibn Jani, Abu al-Fath Othman (d. 392 AH), i 1, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2000 AD.
- The Shehab's commentary on the interpretation of al-Baydawi, named: Inayat al-Qadi and Kifayat al-Radhi on the interpretation of al-Baydawi, Shihab al-Khafaji, Ahmed bin Muhammad, 1866.
- Studies in Arabic Grammar, Abu Kanna, Muhammad, Al-Isra Press - Amman, 2nd Edition, 1995.
- Tabaqat al-Shafi'i al-Kubra, al-Subki, Taj al-Din Abd al-Wahhab, (deceased: 771 AH), investigation: Mahmoud Muhammad al-Tanahi, d. Abdel Fattah Muhammad Al-Helou, 2nd Edition, Hajar for Printing, Publishing and Distribution, 1413 AH.
- The Treasury of Literature and the Door to the Door of Lisan Al Arab, Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar (d. 1093 AH), investigation and explanation: Abdul Salam Muhammad Haroun, 4th edition, Al-Khanji Library, Cairo, 1997 AD.
- The Unique Contract, Ibn Abd Rabbo, Shihab al-Din Ahmed bin Muhammad (d. 328 AH)، i 1, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1404 AH.

❊ ❊ ❊